عبد العزيز مخيون
المُتفرد
ماهر زهدي

المهرجان القومى الرابع والعشرون للسينما المصرية
٢٠٢٢

رئيس قطاع صندوق التنمية الثقافية
أ. د. فتحي عبدالوهاب

رئيس المهرجان
الناقد / كمال رمزي

إشراف فني وطباعة
مي عبدالقادر

تصميم جرافيكى وغلاف
تـامر البـدري

الفهرست

مقدمة ٥
تكريم مستحق ٧
الباب الأول... التكوين ٩
«عجينة» من طمي النيل ١١
تربة خصبة ١٧
تمرد.. وإصرار ٢٥
الباب الثاني.. تجارب مبدع ٣٣
إعداد الممثل ٣٥
هاوٍ في عالم محترف ٤١
فنان يبحث عن ذاته ٤٩
الباب الثالث: الثقافة قبل الفن.. دائماً ٥٧
محترف في باريس ٥٩
أحلام العودة ٦٧
المشخصاتي... ..... ٧٣
الباب الرابع: عطاء متدفق... ..... ٧٩
نضج.. فوق العادة ٨١
أسماء في رحلة التكوين ٨٧
بيدي.. وبأيدي آخرين! ٩٣
كلمة أخيرة ٩٩

مقدمة

بعيدًا عن «الألقاب» العديدة والمتنوعة، التي يصكها محررو الصفحات الفنية في الصحف والمجلات، والحيل التي قد يلجأ إليها بعض شركات الإنتاج، للترويج أحيانًا، لممثلين تم الدفع بهم إلى الصفوف الأولى بشكل عشوائي، من أجل نجومية «مصنوعة»، بعيدًا عن أولئك وهؤلاء، تظل فئة محدودة من الممثلين، على مدار تاريخ السينما، لم نتصور وجود الصناعة دونهم، كانت ولاتزال مواهبهم بمثابة الدماء المتجددة دومًا في عروق السينما المصرية، والشراع الذي يأسر الرياح بمهارة وخبرة، لتصمد السفينة في مواجهتها، في كل مراحل الإبحار.

ربما لن نجد من بين هذه الفئة من الفنانين، من تصدر اسمه «ملصق» أحد الأفلام، أو «عناوين» المقدمة لعمل فني ما، بل ولم يتصد أيٌّ منهم لأدوار البطولة الأولى، أو يسمى بـ»البطولة المطلقة» بمفهوم السوق السينمائية، غير أن وجودهم في الأعمال الفنية، سواء في السينما أو المسرح، أو الدراما التليفزيونية، يكون له فعل السحر في ضبط إيقاع العمل، وخلق حالة اتزان الأداء وتفرده، لدرجة أن الأعمال تصبغ بصبغة أدائهم المتلون والمتجدد من عمل لآخر، باندماجهم في حيوات، هم بالفعل مندمجون فيها، يسكبون تجلياتهم فيما يقدمون، لصنع عوالم تعبر عن الحياة بعفويتها وبساطتها، ويغزلون نسيجًا متشابكًا، يكون هو همزة الوصل بين الفنان وجماهيره.

على الرغم من ذلك، تظل هناك مساحة شاسعة بين النجوم المصنوعة، والممثل الموهوب الذي يُعطي أدواره من روحه وموهبته، وإذا كانت هناك عوامل مساعدة تُساهم في صناعة بعض النجوم، حتى لو لم يتمتع أغلبهم بقدر كافٍ من الموهبة، فإن الجمهور بفطرته قادر طوال الوقت، على الفصل بين المصنوع والطبيعي، بين النجم والممثل، لتظل هناك فئة ثالثة استطاعت بموهبتها المتفردة، أن تجمع بين النجومية والتمثيل، قادتهم أعمالهم إلى بلوغ مصاف كبار النجوم، عبر أدوار مميزة أكدت حجم موهبتهم في «التشخيص».

من هذه الفئة يطل عبد العزيز مخيون، من منطقة خاصة جدًا، بأسلوبه المتفرد البديع الراقي، الذي يعبر من خلاله عن نفسه وفنه، وعن الحياة بشكل عام، دون تكلف أو ضجيج، بل إن الحياة نفسها لديه فن، واختيارات الإنسان فيها فن، لأن الفن في رأيه هو «المفتاح»، الذي يساعد الإنسان على تفسير ألغاز الحياة، عبر التعبير عن رؤية إبداعية، سواء بكتاب، أو قصيدة

شعر، أو رواية، وربما مقطوعة موسيقية، أو لوحة تشكيلية، وبالطبع عمل مسرحي، أو فيلم سينمائي، أو قد يكون أي إنجاز فني، يمكن لكل البشر التعرف عليه وفهمه والتفاعل معه.

قدم مخيون نموذجًا متفردًا للممثل المثقف المهموم بقضايا وطنه، الجاد الذي لا يقبل التنازلات أو أنصاف الحلول، الفاعل في مجتمعه، دون الفصل بين قضيته الخاصة والقضايا العامة، استطاع أن ينسج خيوط لحمته من الموهبة والتجربة، عمل دائمًا على أن يغير المنظومة التي ربطت الفن بمفهومه الراقي ودوره المجتمعي، بالسوق التجارية التي لا هدف لها سوى الربح، معتبرًا أن الفن يحمل رسالة تغيير المجتمع إلى الأفضل، إلى جانب إمتاع الناس وتوعيتهم وتعريفهم بتاريخهم، فضلًا على تحليل الصراع الاجتماعي وحفظ الذاكرة الجمعية، لذا فإن «الكلمة» كانت وستظل من أولويات هذا الفنان القدير فنًا وفكرًا، الذي ربط كينونته بمجتمعه وبشخصياته الفاعلة، التي تحاول أن تثبت وجودها في مواجهة آخر، فصنع شخصية فنية غير مرتبكة، معتمدًا على خصوصية ذاكرته الانفعالية المرتبة، التي تستمد عطاءها من مخزون لا تنضب منابعه، ليضعنا أمام نموذج فريد للتوهج الفني والثقافي.

ماهر زهدي

تكريم مستحق

اختارت الدورة الـ٢٤ من المهرجان، تكريم الممثل النجم عبد العزيز مخيون، أحد الرموز المعاصرة، في الفن المصري، لعطائه المميز عبر رحلة طويلة امتدت لما يقرب من نصف قرن، ولصدقه الفني الذي لم يتخل عنه في جل أعماله، دون أن يلتفت إلى حجم ما يقدمه، بل إلى قيمته وتأثيره.

يؤمن عبد العزيز مخيون بأن الممثل الحقيقي، هو من يذوب في الشخصية ويدخل تحت جلدها، يعطيها من روحه وإحساسه ومخزونه الفكري والمجتمعي، وربما هو ما جعله في مرحلة البدايات، يبدو قلقًا من ناحية أن مجال إبداع الممثل قد يكون محدودًا لأنه مقيد بالنص والحوار الذي لم يكتبه، واعتباره مجرد صوت المؤلف، وأداة في يد المخرج، ليتأكد من خلال مرحلة النضج أن روح الممثل يمكنها أن تبعث أحاسيس وانفعالات ورؤى لم تكن تخطر في بال المؤلف أو المخرج، بل وفي باله هو شخصيًا، بعد أن يفتح خزائن ذاكرته ويطعمه، سواء عن وعي أو دون وعي، من روحه وذكرياته وأفكاره.

وصل مخيون إلى قناعة بأن الممثل عندما يدخل في إلى الشخصية ويندمج معها، يعرف كيف ينفصل عن كل ما حوله ويمتلك التركيز، تخرج هذه الشخصية في لحظة مقدسة في محراب الفن، لتفجر بداخله الأحاسيس والانفعالات، وتتجسد فيه معانٍ ورسائل وليدة لحظتها، إذ لم تكن موجودة قبلها، لينجح في تحويل مجموعة كلمات على الورق، إلى شخصية من لحم ودم، ينسج كيانًا إنسانيًا جديدًا، أضاف إليه ما لم يكن موجودًا على الورق، وتولد شخصية ربما يفاجأ بها هو نفسه، ويتعرف عليها للمرة الأول مع صناع العمل والجمهور.

يتعامل عبد العزيز مخيون مع شخصيات بدقة غير طبيعية، فهو يرى أن التكوينات البدنية والنفسية والاجتماعية لكل شخصية، يجب أن تخضع إلى دراسة وتحليل دقيقين، حتى يتمكن من الدخول إليها شكلًا وموضوعًا، مشيرًا إلى أن هناك نوعين من الممثلين، الأول يدخل إلى الشخصية التي سيقوم بتمثيلها، والثاني يجلب الشخصية إليه، فالأول قادر على الانتقال بين الشخصيات المختلفة، أما الثاني فهو يمثل الشخصية ذاتها في كل مرة، مؤمنًا بأن الممثل لا بد أن يتماهى في الشخصية التي يؤديها، يحللها ثم يستمد من نفسه وتاريخه أسلوب الأداء الأمثل لخروجها، وإذا كانت الشخصيات لا تتساوى في قدر الاهتمام والبحث، إلا أنها قد تتساوى في

قدر التأمل والاستغراق، فهناك شخصيات تاريخية تحتاج إلى القراءة والتحقيق، بل والتدقيق والبحث في أكثر من مصدر، في محاولة لتكوين تصور لها، فيما تتطلب الشخصيات المعاصرة قدرًا من التفكير والتأمل في تكوينها النفسي والجسدي وانتمائها الطبقي والثقافي، ولا يخلو الأمر من بعض البحث والقراءة، خاصة إذا ما كانت الشخصية مشتبكة في قضية مجتمعية، ليخلص من ذلك إلى أنه لا غنى عن التفكير الطويل والتأمل والتخيل، لمعالجة أي شخصية، سواء كانت تاريخية أو معاصرة.

لم يكن عبد العزيز مخيون يومًا، من ذلك النوع من الفنانين الذين تمتلئ صفحات الصحف والمجلات ومواقع التواصل الاجتماعي بصورهم وأخبارهم، بل إنه كما تفرد في موهبته، تفرد أيضًا في شخصيته الفنية والإنسانية، ولم تتبدل أي منهما عبر مراحل تطوره الإنساني أو الفني، بل ظل طيلة حياته، منذ النشأة والتكوين إلى اللحظة الآنية، قابضًا على مفاتيح شخصيته، لم يسلمها لغيره، ولم يتركها لتسيرها الظروف، بل هو من صنع ظروفه، وامتلك وقته بمفرده، ونسج عالمه الخاص وعاش بداخله، يستأذنه بين الحين والآخر في الانصراف لبعض الوقت، عندما تتطلب ظروف عمله ذلك، ثم سرعان ما يعود إليه بشوق ولهفة العاشق، فيختفي عن الأنظار، حتى يظن البعض أنه طواه النسيان، ثم يفاجئ الجميع مجددًا بظهور مختلف ومتوهج، ليجمع في صفاته بين النجوم اللامعة، والشهب الثاقبة.

هذا الكتاب ليس مجرد استعراض لمسيرة فنان متفرد، بقدر ما هو محاولة للاقتراب من عقله وقلبه، والدخول إلى عالمه الخاص، ورصد لمراحل تكوينه الإنساني والفني، والاقتراب من هويته الثقافية، التي كانت وراء صناعة عشرات الشخصيات التي حفرت مكانًا مميزًا في تاريخ الفن المصري، بل وصناعته هو شخصيًا.

الباب الأول...

التكوين

عجينة من طمي النيل

«ابتعادنا عن البشر لا يعني كرهًا أو تغيرًا.. فالعزلة وطن للأرواح المتعبة»..

بهذه الحكمة عاش عبد العزيز مخيون حياته الخاصة، يعرف حدوده جيدًا، لا يقترب إلى حد الاندماج، ولا يبتعد إلى حد الفراق، بل يحافظ دائمًا على وجود مسافات واضحة بينه وبين الآخرين، غير أنه في الوقت نفسه، حاول قدر الإمكان أن يجعل من نفسه بوتقة تنصهر فيها ثقافات عديدة، وأفكار شتى، لتشكيل نموذج للفنان الذي حلم به طيلة حياته، وعاش من أجله، فقد حاور الدكتور لويس عوض ورافقه في لحظات التوهج، اقترب من أفكار الدكتور رشدي سعيد، نفذ إلى يوسف إدريس من خلال عالمه الخاص، وأبحر في أفكار الدكتور حسين فوزي، وتعلم من سيد البنائين حسن فتحي، البناء من أجل الإنسان، تغنى بأشعار أمل دنقل، وعاش كفاح نجيب سرور من أجل الكلمة، وغيرهم كثيرون كانوا في طليعة تشكيل وعي ووجدان مخيون.

عشق عبد العزيز مخيون الفن منذ طفولته، وتحديدًا الموسيقى والمسرح، فقرر أن يقوم بدارسة الموسيقى، بعد الحصول على الثانوية العامة، غير أن مستواه خلال هذه المرحلة لم يكن ليؤهله لمعهد الموسيقى، فنصحه أحد الأصدقاء بأن يلتحق بالمعهد العالي للفنون المسرحية، لدراسة المسرح والتمثيل، وفي الوقت نفسه يُقدم على دراسات حرة في المعهد العالي للموسيقى.

ما إن حصل عبد العزيز مخيون على الثانوية العامة، حتى قرر مواجهة الأسرة بحلمه الذي يسعى لتحقيقه، وهو دراسة المسرح الذي عشقه دراسة أكاديمية، غير أن الأسرة التي لها أصول عريقة وعادات وتقاليد، رفضت رفضًا قاطعًا أن يقوم بدراسة التمثيل، ليتخرج ويعمل ممثلًا أو «مشخصاتي»، غير أنه لم يستسلم، واستعان ببعض كبار العائلة، وفي مقدمتهم عمه «عبد العزيز بك مخيون»، عضو مجلس النواب ومجلس الشيوخ، لترضخ الأسرة، وتوافق على هذه الدراسة.

لملم عبد العزيز أوراقه، وركب القطار المتجه من دمنهور إلى القاهرة، وفي «محطة مصر» راح يسأل عن مكان المعهد العالي للفنون المسرحية، ولم يكن هناك من عامة سكان القاهرة، ما يعرف أو يسمع باسم «المعهد العالي للفنون المسرحية»، ليعرف أخيرًا بعد أن أضناه السؤال والتجول في شوارع القاهرة، أنه في منطقة الزمالك، فتوجه إليها من فوره، ليبدأ رحلة بحث محدودة عنه، إلى أن عثر على ساعي بريد، فأدرك بفطنته، أنه الشخص الوحيد الذي لا بد أن يعرف كل عناوين المنطقة فسأله، وكانت المفاجأة، أنه على بعد خطوات منه، في مبنى عتيق على نهر النيل، لينطلق عبد العزيز كالسهم تجاه غرفة «شؤون الطلاب»، ليتلقى الصدمة الأولى، عندما وقف أمام الموظف:

= أنت مش في إيدك ساعة؟

* أيوه طبعًا أكيد.

= طيب بص فيها وشوف الساعة كام؟

* الساعة اتنين وتلت.

= طيب؟

* طيب إيه.. مش فاهم حضرتك؟

= يعني خلاص اليوم خلص.. ومفيش تقديم.. وعلشان أريحك كمان النهارده كان آخر يوم.. ترجع بقى السنة الجاية وعليك خيرإن شاء الله.

* إزاي حضرتك.. أنا كل أوراقي جاهزة.. وبعدين أنا جاي من دمنهور وعمال أدور على المعهد من الصبح.

= يا ابني بلاش تضيع وقتي ووقتك.. التقديم خلص خلاص.

صُدم عبد العزيز صدمة كبيرة، غيرأنه لم ييأس، وأثناء خروجه من غرفة الموظف، لمح لافتة صغيرة علقت أمام أحد الأبواب، كتب عليها «عميد المعهد»، فلم يتردد وطرق الباب ودخل بوجه مكفهر يبدو عليه غبار السفر، وعيناه حمراوان، وبادره:

* أنا عايز أقدم في المعهد.. والأستاذ اللي في الأوضة اللي هناك دي بيقوللي خلاص.. التقديم خلص.

= أنت اسمك إيه؟

* عبد العزيز صالح مخيون.

= منين يا عبد العزيز؟

* من دمنهور.

= مثلت قبل كده؟

= آه طبعًا مثلت في الابتدائي والإعدادي والثانوي.. وحافظ أعمال كتيرة باللغة الإنجليزية كمان.

* كده.. ده أنت هايل أوي.. طب أرجع له تاني وقوله الأستاذ أبو خليل لطفي بيقول خد الورق.

لم يكن الجالس خلف مكتب العميد، هو «أبو خليل لطفي»، أستاذ ورئيس قسم الديكور، ونائب عميد المعهد، كما لم يكن سعيد خطاب عميد المعهد أيضًا، الذي شارك في تأسس المعهد

العالي للفنون المسرحية بالقاهرة، وتولى عمادته خلال الفترة من ١٩٥٨ إلى ١٩٦٦، بل كان من يجلس خلف المكتب، المعيد الشاب فوزي فهمي، حيث شاءت الظروف، أن يسافر العميد سعيد خطاب، وينوب عنه رئيس قسم الديكور أبو خليل لطفي، الذي لم يكن موجودًا في هذه اللحظة، ولأن المعيد الشاب فوزي فهمي، توسم في عبد العزيز خيرًا كممثل، فقام بتزكيته منتحلًا صفة نائب عميد المعهد، فما كان من الموظف إلا أن قبل أوراق عبد العزيز على الفور، وأبلغه بموعد الاختبار.

بعد يومين كان عبد العزيز يحمل نسخة أخرى من أوراقه، وذهب ليتقدم بها في قسم التمثيل بالمعهد العالي للسينما، ليتكرر معه ما حدث في معهد الفنون المسرحية، وكان المسجل هذه المرة هو الفنان حسين عسر، الشقيق الأصغر للفنان الكبيرعبد الوارث عسر، واضطر لقبول أوراقه بعد إلحاح شديد، وتحدد له أيضًا موعد الامتحان.

لم يكن عبد العزيز يعرف كيف سيؤدي الامتحان، لتلمع فكرة فجأة في رأس ابن عمه، عندما أخبره بأن له صديقًا خريج المعهد العالي للسينما يُدعى «أحمد عبد الهادي»، يعيش في ضاحية مصر الجديدة، فذهبا إليه، وبدأ معه على الفور بتدريبه على مشهدين من المسرحية العالمية «شاترتون» أو «شقاء الشاعر»، للكاتب المسرحي والروائي والشاعر الفرنسي ألفريد دوفيني، التي قام بترجمتها للعربية عباس حافظ في العام ١٩١٦.

أدى مخيون امتحان المعهد العالي للفنون المسرحية، غيرأن الأهم كان امتحان قسم التمثيل بمعهد السينما، لا لصعوبة الامتحان، لكن لصعوبة اللجنة التي سيقف أمامها، فهي مكونة من: علي فهمي، محمد كريم، يوسف شاهين، كمال الشناوي، وعبد الفتاح الفيشاوي، وبدأ مخيون أداء مشاهده من مسرحية «شاترتون» مرة باللغة العربية الفصحى، والأخرى باللغة الإنجليزية، بطريقة أدهشت لجنة التحكيم، لدرجة أنه في نهاية المشهد، نظر إليه عبد الفتاح الفيشاوي بإعجاب قائلًا:

= ستارة

فأشار إليه كمال الشناوي:

= تعال قرب هنا.. أنت عينيك حمرا ليه.. أنت عندك مرض في عينيك؟

نظر إليه علي فهمي بتفحص وقال باللغة الإنجليزية:

= No no.. I think this is accidental (لا لا أعتقد أن هذا أمر عارض).

أكد عبد العزيز كلام علي فهمي، بأن احمرار عينيه بسبب السفر من دمنهور إلى القاهرة في القطار، مع ارتفاع درجة الحرارة، لتخرج بعدها النتيجة، بنجاح أربعة طلاب فقط في قسم التمثيل، هم: «محمود الجندي، أسامة روحي، وفتاة تدعى رضا، ورابعهم عبد العزيز مخيون».

رغم السعادة الكبيرة التي شعر بها عبد العزيز مخيون، بنجاحه بتفوق في اختبارات المعهد العالي للسينما، للدرجة التي جعلته يحتفل بنفسه، فيذهب ليقضي يومًا سعيدًا في حديقة الحيوان بالجيزة، إلا أنه راح ينتظر نتيجة المعهد العالي للفنون المسرحية بلهفة كبيرة، خاصة أنه يفضل المسرح، ويحبذ دراسة التمثيل في معهد المسرح، أكثر من معهد السينما، لتخرج النتيجة بالفعل، حيث تم قبول عشرين طالبًا، وثمانية طلاب في قائمة احتياطية، ليجد عبد العزيز نفسه من بين الثمانية الاحتياطي، لينتابه حزن شديد، غير أنه لم يستسلم، وقرر أن يبحث عن حقه، حتى لو وصل إلى وزير الثقافة نفسه.

كان من بين الثمانية الاحتياطي طالب يدعى ماهر لبيب جرجس، من سكان القاهرة، وتحديدًا حي شبرا، فسأله عبد العزيز عن مكان وزارة الثقافة والإرشاد القومي، فعرض عليه ماهر أن يصحبه إلى الوزارة، فخرجا من المعهد بالزمالك، وتوجها إلى مقر الوزارة بمبنى التليفزيون العربي على كورنيش النيل.

تقدم ماهر ناحية أمن التليفزيون، وأخبرهم بأنه وزميله طالبان في معهد التمثيل، وأن المخرج نور الدمرداش يريدهما للاستعانة بهما في بعض مشاهد مسلسله الجديد، حيث كان الدمرداش يقوم بإخراج مسلسل «هارب من الأيام» للكاتب ثروت أباظة، سيناريو وحوار فيصل ندا، وبطولة عبد الله غيث، حسين رياض، توفيق الدقن، مديحة سالم، سميحة، محمود الحديني، سعيد صالح، إحسان القلعاوي، محمود عزمي، وآخرين، فسمحوا لهما بالدخول، غير أنه لم يمر لحظات واختفى ماهر لبيب في طرقات ومنحنيات المبنى الوليد، ليواصل عبد العزيز رحلة البحث عن مكتب الوزير بمفرده، حتى عثر عليه في الطابق الثامن، فوقف أمام باب وزير الثقافة والإرشاد عبد القادر حاتم، وأخرج ورقة وقلمًا، وأسند الورقة على الحائط، وقام بكتابة شكوى ضد تعنت المعهد مع ثمانية من الطلاب، نجحوا بالفعل في الاختبارات، غير أن إدارة المعهد وضعتهم في قائمة احتياطي، دون سبب معلن، ما يضيع فرصتهم في التعلم، مستخدمًا بعض شعارات المرحلة مثل «مجتمع الكفاية والعدل وتكافؤ الفرص»، وقام بالتوقيع بأسماء الطلاب الثمانية، ثم توجه بها إلى وكيل وزارة الإرشاد محمد أمين حماد، الذي استقبله بترحاب شديد، وراح يستمع إلى شكاواه، وتناول منه الشكوى:

= وإيه السبب اللي خلاهم يحطوكم احتياطي؟

* ماعرفش يا فندم.

= يعني أنت متأكد إنكم ناجحين؟

* أيوه يا فندم.. مكتوب أسماء الناجحين.. وبعدهم مكتوب، وهؤلاء احتياطي.

= طيب يا ابني أنا أوعدك أن سيادة الوزير هايهتم شخصيًا بشكواكم.

* أنا باشكر حضرتك وسيادة الوزير على الاهتمام.

= ده واجبنا يا ابني خصوصًا لما يكون في طلبة نابهين زيكم وحريصين على مستقبلهم.. قوللي أنت كاتب لك عنوان في الشكوى؟

* أيوه يا فندم كاتب عنواني باعتباري ممثل عن بقية زملائي.

= خلاص أتفضل، وإن شاء الله هانبلغك بالنتيجة في أقرب وقت.

شعر عبد العزيز بارتياح شديد، وقرر الانتظام في الدراسة بمعهد السينما، لحين البت في شكواه، ليستقبله المعهد في أبهى صورة، فكانت أول ما وقعت عليه عيناه لوحة ضخمة بعرض الحائط الرئيسي، تضم كل المهن السينمائية، المخرج، الكاميرا، مدير التصوير، مدير الإضاءة، ومهندس الديكور، وغيرهم، وما إن اتجه إلى الممر الداخلي حتى وجده مزينًا بصور كل رواد السينما السابقين والمعاصرين، آنذاك، في ترتيب بديع، يليق بهؤلاء النجوم، ليكون أول من يستقبله هو وبقية الزملاء، وقبل الدخول إلى قاعة الدراسة، المخرج محمد كريم، لا للترحيب بهم، لكن للتفتيش عليهم، مؤكدًا ضرورة حلاقة الذقن يوميًا، لتتواصل المحاضرات مع أساتذة المعهد، وبعده الأستاذ أحمد بدرخان، الذي قام بجمع كل أقسام المعهد في محاضرته، ليكون سؤاله الأول لكل الطلبة:

= ما هي السينما؟

رفعت الطالبة أنجيل آرام لتجيب، فسمح لها:

– السينما صناعة وفن

= طيب اقعدي.. ما هو الشعار ده مكتوب برة على الحيطة.

راح يشرح أحمد بدرخان ما هو مفهوم السينما، وأهميتها، وفي المحاضرة التالية، راح يشرح لهم تأثير الصوت على الصورة، وحتى تكون الدراسة عملية، طلب من كل الطلبة مشاهدة فيلم أمريكي معروض في دار عرض سينما «راديو» في وسط القاهرة، والتركيز على مشهد البطلة، وهي ذاهبة إلى الميناء ليلًا، ووقع خطواتها وتأثيرها، وكيف استغلها المخرج، لعمل تشويق وإثارة في المشهد.

أيضا بدأ الفنان عبد الوارث عسر في تدريس مادة «فن الإلقاء»، وكذلك عبد الفتاح رياض، ليكون يوم الخميس من كل أسبوع، مخصصًا لمشاهدة فيلم سينمائي جديد، وأغلب ما يُعرض أفلام الكتلة الاشتراكية، يعقبه محاضرة تحليل للفيلم، يقوم به الناقد أحمد الحضري، حتى مر

الشهر الأول من الدراسة، حتى فوجئ بأحد الزملاء يخبره بأنه تم قبوله في المعهد العالي للفنون المسرحية، فكاد يطير فرحًا، فقد بحث الوزير عبد القادر حاتم في شكواه، وطلب من عميد المعهد سعيد خطاب، قبول كل الطلبة المدرجة أسماؤهم في القائمة، وعندما أخبره العميد بعدم وجود قاعات تستوعب جميع الطلبة، أمره ببناء «كشك» في ملعب «كرة السلة»، المهم أن يتم قبول جميع الطلبة.

لم ينتظر عبد العزيز لليوم التالي، وذهب إلى شؤون الطلبة بمعهد السينما، ليقوم بسحب أوراقه ليقدمها في معهد الفنون المسرحية، ليستوقفه الفنان حسين عسر مرة أخرى، قبل أن يقدم على هذه الخطوة:

= أنت متأكد يا ابني أنك لقيت مكان أفضل من هنا؟

* أيوه طبعًا.

= خللي بالك أنت لو سحبت ورقك مش هايرجع تاني أبدًا.

* أنا عارف حضرتك.

= كده.. طب اتفضل امضي هنا إنك استلمت ورقك.

خرج عبد العزيز من المعهد العالي للسينما، واتجه إلى الزمالك، حيث مقر المعهد العالي للفنون المسرحية، ليقف بالقرب من النيل ينظر إلى مبنى المعهد العتيق، وهو يبتسم، بعد أن حقق أول انتصار له في طريق تحقيق الحلم.. وقف وقد استند إلى شجرة قريبة، يسترجع بداية المشوار في خطوات الحلم، الذي بدأ مع السنوات الأولى من الطفولة.

تربة خصبة

كان ولايزال قدر العديد من المدن المصرية، أن تكون درعًا حامية للبلاد ضد أي عدوان خارجي، سواء من الجهة الشرقية أو الغربية، وبالطبع من الجهة الشمالية، وسجلت كل مدينة منها خلال العصر الحديث سجلًا مشرفًا من البطولات والمقاومة الشعبية ضد الطامعين في أرض مصر، خاصة بالنظر لموقعها الاستراتيجي.

من بين هذه المدن «دمنهور»، التي قام أهلها بالعديد من الثورات على الفرنسيين، خلال الحملة الفرنسية على مصر، وفي كل مرّة كان يتعرض عدد كبير من الأهالي للإعدام والشنق، كما كان الجيش الفرنسيّ يأخذ الرهائن من أهلها ليتوقّفوا عن الثورة فورًا، إلى أن جاء «الشيخ أبو عبد الله المغربي»، الذي تعود أصوله إلى المغرب العربي، أسس للثورة الجهادية في المدينة واتخذها عاصمة له، انتصر على نابليون بونابرت في خمس معارك متتالية، لكنه استشهد في النهاية مع ما يقرب من ألفي مجاهد من رجال المدينة، وقام نابليون على إثر ذلك بإبادة أغلب سكان المدينة وحرقهم وهم أحياء بداخل بيوتهم وفي الشوارع، حتى وصل عدد الشهداء لما يقرب من ربع سكانها، وعثر على إحدى الرسائل لأحد قائدي الكتائب، تتضمن أمرًا بالإبادة تقول: «أصبحت دمنهور كومة من الرماد، ما تركنا فيها حجرًا فوق حجر، وقتلنا من أهلها نحو ما يزيد على ألف وخمسمائة شخص.

ذُكرت دمنهور في الكتب والنصوص القديمة تحت اسم «دي من حور»، الذي يعني مدينة «الإله حورس»، حيث كانت مركزًا لعبادة الإله «حور»، أمّا في النصوص اليونانية فسمّيت «هرموبوليس برفا»، والذي يعني مدينة «هرمس الصغرى»، ونسبةً للمعبود اليوناني أبولو عرفت أيضًا باسم «أبوللونوبوليس»، ثمّ سموها تل لامون، لكن الشعب المصري القديم أعاد إليها اسمها القديم ولفظوه «تمنهور»، وعندما تمكّن المسلمون من فتحها أطلق عليها اسم «دمنهور»، وتقع هذه المدينة في الجهة الشمالية الغربية من محافظة البحيرة؛ حيث تتبع لها بشكلٍ إداري، وتعدّ المركز الرئيسي للمنطقة الشمالية الغربية من الدلتا، حيث يحدّها من الجهة الشمالية المحمودية، ومن الشرقية الرحمانية وشبراخيت، ومن الجنوبيّة مركز الدلنجات، أما من الجهة الغربية فيحدها مركز «أبو حمص».

أقيمت «أبو حمص» على أطلال مدينة قديمة كانت تسمى «شبرياس»، وفي العهد العربي عرفت باسم «شبرابار» ثم حرّف اسمها إلى «شنبار»، ثم قيد زمامها في العام ١٨٠٧ باسم «أبو حمص» حيث أطلق عليها هذا الاسم، لأنه عند بناء السكة الحديد بين القاهرة والإسكندرية، جاءت إحدى محطات السكة الحديد بالقرب من بيت عائلة «أبو حمص»، فأطلق على المحطة هذا الاسم، ومنها أطلق الاسم على العزبة المجاورة للسكة الحديد «أبو حمص»، وعندما أنشئ مركز «أبو حمص» في العام ١٨٧١، جعلت دمنهور مقرًا له، لخلو أبو حمص من الأماكن

الصالحة لإقامة دواوين الموظفين وسكنهم من جهة، ولأن دمنهور كانت في ذلك الوقت من توابع مركز أبو حمص من جهة أخرى، ولأن كلمة «عزبة»، تدل على القلة والتبعية، فقد لفت نظر مدير عام مصلحة الأموال المقررة إلى ذلك، فاستصدر من وزير المالية القرار رقم ١٣٤ في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٩، بتعديل الاسم وجعله «أبو حمص»، بدلًا من «عزبة أبو حمص».

سكن البحيرة ودمنهور، وبالطبع أبو حمص، الكثير من العائلات والقبائل العربية، ومن بينها قبيلة «الجميعات»، التي سبقت أولاد علي في الوفود إلى مصر، وهي من كبرى القبائل المصرية التي تمركز أبناؤها في مريوط والبحيرة ودمنهور والصحراء الغربية من قبل الفتح الإسلامي، ويرى بعض المؤرخون أن «الجميعات» من السعادي وهم أبناء خديجة أخت علي وبنت عقار, ورأي آخر أنهم من سلالة أولاد سليمان وجدهم كعب، وكعب جد أبو الليل الذئب، وهناك رأي ثالث أنهم ينتسبون إلى كعب بن لؤي من الصحابة، وتتكون قبيلة «الجميعات» من عدة بطون كبيرة، هي بمثابة قبائل تحمل أسماء أجدادهم، من بينها قبيلة «النواحة»، نسبة إلى جدهم الأكبر «نوح»، والتي خرج منها عائلات عديدة، تتقدمهم عائلة «مخيون».

في تلك القرية القريبة من مدينة أبو حمص ذات الرصيد التاريخي الطويل منذ العصر الفرعوني، مرورًا بالعصر الإسلامي، وصولًا إلى العصر الحديث، ولد عبد العزيز صالح مخيون، في الخامس والعشرين من فبراير من العام ١٩٤٦، حيث قرر والده «صالح أفندي مخيون»، أن يطلق عليه اسم شقيقه السياسي الكبير «عبد العزيز بك مخيون»، الذي يخوض انتخابات مجلس الأمة آنذاك.

جاء عبد العزيز، أول أبناء والديه، فعاش طفولة سعيدة، حيث نشأ في عائلة كبيرة، عمه عضو مجلس النواب، وعمه الآخر عمدة القرية، وبعده تولى والده «صالح أفندي مخيون» منصب العمدة، تعيش الأسرة في «سراي» كبيرة حولها أراضٍ خضراء شاسعة، ليكون عبد العزيز «فاكهة» العائلة كلها، يلقى الاهتمام والتدليل من الجميع كبيرًا وصغيرًا، وزاد من هذا الاهتمام، موهبة بدأت تطل برأسها من داخل الصغير، عندما راح يقلد ساخرًا كل من يتوافدون على البيت، شيخ الخفر، شيخ البلد، حركات وسكنات بعض الخفراء، بعض من يزور العائلة من ضيوف، ليضج الجميع بالضحك لحركات وقفشات الصغير، في مقابل ذلك، ورغم العيش في قرية في عمق الريف المصري في أربعينيات القرن العشرين، إلا أن الوالد كان يهتم بالعلم والتعلم، وتعلم اللغات الأجنبية، وتحديدًا الإنجليزية والفرنسية، إلى جانب العربية.

ما إن بلغ عبد العزيز السادسة من عمره، حتى ألحقه والده بمدرسة «بني منشأة دمسنا»، ليُظهر نبوغًا مبكرًا في التعليم وحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغات الأجنبية، ما جعل والده يشجعه على ممارسة الأنشطة المدرسية، ليعرف معنى كلمة «مسرح»، لأول مرة على يد أستاذه المحب للفنون «حمدي عزب»، الذي كان يأتي خصيصًا من الإسكندرية، لتعليم تلاميذ المدرسة معنى المسرح، والذي قام بكتابة قطع تمثيلية قصيرة، ليقوم التلاميذ بتمثيلها في المدرسة، سواء كانت مستقاة من المناهج الدراسية التي يقومون بدراستها، أو حتى من تأليفه،

الأمر الذي دفع فضول وشغف عبد العزيز لمعرفة المزيد عن هذا العالم الساحر، ساعده في ذلك الصحف اليومية التي كانت تأتي للأسرة، فضلًا على المجلات الأسبوعية مثل «المصور، آخر ساعة، الاثنين والدنيا» وغيرها، ليبدأ عبد العزيز بالتعرف على عوالم جديدة لم تكن موجودة بالقرية أو المدينة، حتى قرر الأستاذ «حمدي» تقديم أول عمل مسرحي حقيقي للتلاميذ، من فوق خشبة مسرح، وستار وإضاءة وماكياج، من خلال مسرحية قام بتأليفها باسم «الباشا والخادم»، وقام بإسناد دور «عليوة» الخادم للتلميذ عبد العزيز مخيون.

استعد عبد العزيز للدور، ارتدى جلبابًا ممزقًا، ووضع على وجهه بعض الغبار، ودس يديه في الطين، وانتظر لتجف، وقام بفركها لتبدو يدين لفلاح أصيل، وقام الأستاذ حمدي بتركيب لحية خفيفة له، فبدا وكأنه فلاح معجون بطمي النيل، وقف أمام الباشا يُطالب بحقه وحقوق الفلاحين المنهوبة، ويُطالب بالعدل والمساواة، وفي النهاية ينتصر الفلاح البسيط على الباشا، بقيام ثورة ٢٣ يوليو، ويؤدي عبد العزيز الدور، وأدى الدور وكأنه وُلِد ممثلًا، فنال تصفيق الجميع.

بالتأكيد لم تكن المدرسة، وبالتبعية مدينة أبو حمص، أو دمنهور، بعيدة عن الأحداث المتلاحقة في مصر خلال هذه الفترة، حيث عاصر عبد العزيز هتافات عدة، تؤكد هذه الأحداث المتلاحقة، ففي بداية التحاقه بالمدرسة، وقف تحت ساري العلم وهتف:

* «يعيش فاروق الأول ملك مصر والسودان».

غير أن هذا الهتاف لم يستمر طويلًا، فلم تمر عدة أشهر، حتى ولد فجر ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢، لتبدأ مصر مرحلة جديدة من عمرها الممتد في عمق التاريخ، ويتبدل الهتاف إلى:

* «وطني وطني.. يحيا وطني».

وقبل أن يترك المدرسة الابتدائية، كانت الأحداث السياسية تسير في مصر والمنطقة العربية بشكل سريع ومتتالٍ، ومع إعلان الوحدة بين مصر وسوريا في العام ١٩٥٨، هتف عبد العزيز مع أقرانه في المدرسة:

* «تحيا الجمهورية العربية المتحدة».

لم ينخدع عبد العزيز بكلمات المديح والثناء بعد نجاحه في أداء دور «عليوة» في مسرحية «الباشا والخادم»، بل واصل تفوقه الدراسي، وتفرده بالاهتمام الفني، الذي واصله بعد الانتقال إلى المرحلة الإعدادية، والالتحاق بمدرسة «أبو حمص» الإعدادية، ليبدأ مرحلة جديدة، ليس في التعليم فقط، بل في الثقافة والفنون أيضًا، فلم يكتفِ بالتمثيل، بل اشترك في جماعة الخطابة وإلقاء الشعر، وأصبح صديقًا لمكتبة المدرسة، يقضي فيها معظم أوقات فراغه، وهو ما لاحظه مدرس اللغة العربية الأستاذ «صبحي القصاص»، الذي بدأ يتابعه، بعد أن وجد في صوته خلال إلقاء الشعر تميزًا، واهتمامًا واضحًا بالقراءة والكتاب، فقرر إحضار «نجار» المدرسة، وقام بعمل مستطيل خشبي، تم تعليقه في الفصل باعتباره مكتبة، ليقوم كل تلميذ بإحضار ما لديه من

كتب، ليتبادل تلاميذ الفصل الكتب، لتشجيعهم على القراءة، وكتب على المستطيل الخشبي:

«قد عشت ما عشت مع الأصحاب.. فلم أجد أوفى من الكتاب»

أوكل الأستاذ صبحي القصاص أمانة هذه المكتبة الصغيرة إلى عبد العزيز، بحيث يكون مسؤولًا عن الكتب التي يجلبها التلاميذ، والأخرى التي يتم استعارتها، وباعتباره أمينًا للمكتبة، جاءت المبادرة منه، بإحضار بعض الكتب والمجلات من منزله، وبدأ في تبادلها مع الآخرين، ليبدأ مرحلة القراءة وتثقيف نفسه.

لم تكن الأحاسيس الفنية التي بدت بوادرها لدى الطفل عبد العزيز، وليدة الصدفة، فالبيئة المحيطة به تقوده حتمًا إلى هذا الاتجاه، فعلى الرغم من انشغال والده بأمور «العمودية»، إلا أن هذا لم يمنعه من أن يقوم بالعزف على آلتي «الفلوت» و«الكلارينت»، اللتين يحتفظ بهما في مكان خاص في حجرته، ويجيد العزف عليهما باستمتاع في أوقات فراغه، فضلًا على حرصه على أن يصطحب أسرته من آنٍ لآخر، خاصة خلال فصل الشتاء بعيدًا عن زحام المصطافين، إلى مدينة الإسكندرية التي تبعد عن العزبة ما يقرب من ٤٥ كيلومترًا، يصحب الأسرة في سيارة العم عضو مجلس الأمة، في رحلة إلى الإسكندرية، في برنامج ترفيهي للأسرة، لمشاهدة جمال وهدوء الإسكندرية، خلال هذه الفترة، خاصة خلال فصل الشتاء، حيث تمتلئ بالجاليات اليونانية والإيطالية وغيرها، وأكل أطباق ساخنة من «البليلة» الإسكندراني، والمشروبات الدافئة، وتكون مشاهدة السينما على رأس البرنامج، في حفل الساعة السادسة إلى التاسعة مساء، في أي من دور العرض الفخمة المنتشرة في الإسكندرية، سواء سينما «ريو، أمير، مترو، أو ريالتو»، وأحيانًا سينما أقل قليلًا في المستوى في حي الإبراهيمية تسمى سينما «لاجيتيه»؛ لأنها كانت تعرض أفلامًا مميزة، ما سمح للطفل عبد العزيز مشاهدة العديد من الأفلام السينمائية الأمريكية أو المصرية – أحيانًا – خلال حقبة الخمسينيات، فشاهد الفيلم الأمريكي «رحلة إلى مركو الأرض» أو Journey to the Center of the Earth، بطولة جيمس ماسون، وبات بون، وديان بيكر، وفيلم «فقدت في ألاسكا» أو Lost in Alaska، بطولة لو كاستيللو، باد أبوت، وبروس كابوت، وفيلم «الجاسوس» بطولة وليم هولدن، وفيلم «شاي وحنان» أو Tea and Sympathy، بطولة ديبورا كير، جون كير، وليف أريكسون، والعديد من الأفلام الأخرى لعدد كبير من نجوم السينما الأمريكية، جريجوري بيك، روبرت ميتشوم، كلارك جيبل، جاري كوبر، وجون وأين، وغيرهم من نجوم هوليوود، وكذلك بعض الأفلام المصرية خلال هذه المرحلة، حتى إن الطفل عبد العزيز ظل محتفظًا في ذاكرته بذلك الإعلان الدعائي عن فيلم يتم تصويره خلال هذه الفترة، وتقدم دار العرض جزءًا من صناعته، والمخرج يقوم بتوجيه الممثلين أثناء التصوير، حيث كان الفيلم بعنوان «رجل في حياتي»، إخراج يوسف شاهين، قصة وسيناريو وجيه نجيب، وأشرف على كتابة الحوار عبد الرحمن الشرقاوي، وبطولة سميرة أحمد وشكري سرحان، ليبدو في الإعلان المخرج يوسف شاهين يوجه بطلة الفيلم سميرة أحمد على كيفية أداء المشهد، حيث من المفترض أنها تعاتب البطل شكري سرحان على بعض الأمور في حياتها، التي من المفترض أنه كان سببًا في حدوثها:

= موت أبويا صدفة.. سقوطي في الامتحان صدفة.. إن نظري يضيع صدفة؟

– كويس أوي يا سميرة.. بس بصي يا حبيبتي.. أنا عايزك وإنت بتقوليله كل كلمة من دول وكأنها شتيمة.. عايز الكلام يخرج منك زي طلقات الرصاص.. عايز كل كلمة تقوليها توجعه.. مش عايزه يبان وكأنه عتاب.. لا... عايز وجع.

لم يكن الطفل عبد العزيز مخيون يدري أنه أمام واحد من دروس التمثيل الذي يعشقه، غير أنه دون أن يدري احتفظ بالدرس في ذاكرته الانفعالية، كأنما يستبقيه لوقته.

كانت الأجواء كلها حول عبد العزيز، تنمي إحساسه بحب الفن، سواء من الوالد أو العم، أو حتى العائلة بشكل عام، حيث بلغ حب هذه العائلة للفن والفنون، أن قام النائب عبد العزيز مخيون، عم الطفل عبد العزيز، بإحضار «عربة سينما» إلى القرية، وهو عبارة عن عربة محمل عليها آلة عرض سينمائي وشاشة ضخمة، لعرض بعض الأفلام في مكان فسيح بالقرية، ليتسنى للفلاحين البسطاء مشاهدة بعض الأفلام السينمائية، ليكون أول فيلم مصري يشاهده الطفل عبد العزيز، فيلم «خبر أبيض»، تأليف وإخراج عباس كامل، وبطولة ليلى فوزي، كارم محمود، سعاد مكاوي، عزيز عثمان، بالإضافة إلى الفنان السيد بدير، في دور «عبد الموجود بن المبجل عبد الرحيم كبير الرحيمية»، الذي ما إن ظهر على الشاشة، حتى ضج الفلاحون بالضحك، خاصة عندما قال للخفراء الذين يمشون خلفه:

= «وجع في باطك منك له له له».

لم تكن مشاهدة عائلة مخيون للسينما مقصورة على عربة السينما، بل كان الأب يصحب الأسرة خلال فترة الإجازات، لمشاهدة الأفلام في سينما «البلدية» في دمنهور – أوبرا دمنهور حاليًا – ما زاد من تعلق الطفل عبد العزيز بهذا العالم الساحر وفن التشخيص، الذي لم يكن يعلم عنه أكثر مما يشاهده، وبدأ يتفاعل بداخله ويخرج في أشكال نشاطه المتعددة والمختلفة.

لم يكتفِ عبد العزيز بهذا النشاط المهم الذي بدأ يغير مفاهيمه وأفكاره بشكل كبير، بل حرص أيضًا على الانضمام إلى «جماعة الموسيقى» في المدرسة، ليقع اختياره على واحدة من أرق وأعذب الآلات الموسيقية، حيث اختار «آلة الكمان»، ليتعلم العزف عليها، وخلال أسابيع قليلة، برع في العزف بشكل لافت، كان يتيح له من آنٍ لآخر، فرصة العزف لإحدى المقطوعات في طابور الصباح، ليشتهر بين أقرانه باسم «الفنان»، الأمر الذي دفع والده بالذهاب خصيصًا إلى مدينة الإسكندرية، ليشتري له آلة «كمان» ليمارس العزف عليها في المنزل بشكل خاص، مع المداومة على سماع الموسيقى، بل وحرص الأب أيضًا على أن يستعين بمن يدرب عبد العزيز على صيد الطيور، كأنما يقوم بإعداد إنسان بمواصفات خاصة جدًا، يدخره لمهمة غير عادية.

تعمقت علاقة عبد العزيز بأساتذته، مثلما تعمقت علاقته بالقراءة، يقرأ كل ما تقع عليه عيناه، صحف، مجلات، كتب بمختلف تنوعها وعلومها، بداية من الكتاب الذي يضم قصة «المهلهل بن أبي ربيعة»، وهو في المرحلة الابتدائية، وصولًا إلى أهم ما وصل إليه وهو في الصف

الأول الثانوي، بمدرسة «دمنهور الثانوية»، بعنوان «بروتوكولات حكماء صهيون»، لتزداد مداركه وتنفتح على أفق أرحب من الثقافة والمعرفة، ويزداد نهمه للقراءة، في الوقت الذي بدأ يتفتح فيه وعيه على ثورة ٢٣ يوليو ومبادئها، فاستقبلها ككل المصريين، كالأرض العطشى للماء، وبدأ يتنسم أخبارها ويؤمن بمبادئها عبر أثير الإذاعة، الوسيلة الإعلامية الأهم والوحيدة، بعد الصحف والمجلات.

في بداية المرحلة الثانوية، انصب التركيز الأكبر لعبد العزيز، على القراءة والموسيقى، حيث كان مفتونًا بالكاتب الروائي الأمريكي أرنست هيمنجواي، وروايته «لمن تقرع الأجراس»، التي تتناول قصة «روبرت جوردون»، الشاب الأمريكي المنتمي إلى الكتائب الدولية المرافقة لإحدى عصابات الحرب الشيوعية، خلال الحرب الأهلية الإسبانية، والذي يتم الاستعانة به، بصفته خبيرًا في استخدام المتفجرات، ليقوم بتفجير جسر خلال هجوم على مدينة «شقوبية»، واعتبر النقاد هذه الرواية، من أعظم ما كتب هيمنجواي إلى جوار رواياته «ثم تشرق الشمس، الشيخ والبحر، ووداعًا للسلاح»، فأصبح مخيون مفتونًا بهذه الرواية، لدرجة أنه قرأها مرات عدة، إلى جانب قراءة سلسلة «كتابي» للكاتب حلمي مراد عن الملخصات الأدبية العالمية، مثل «اعترافات جان جاك روسو، الهاربة من الجنة، عشيقة نابليون، الجريمة والعقاب، صنم تحطم، الشيطان على الأرض»، وغيرها.

إلى جانب التمثيل والقراءة، قام عبد العزيز خلال هذه المرحلة أيضًا بالتركيز على الموسيقى بشكل كبير، بعد اختياره ضمن الفرقة الموسيقية للمدرسة، باعتباره عازفًا لآلة «الكمان»، فأولاه مدرس التربية الموسيقية بالمدرسة الثانوي، اهتمامًا خاصًا، ما جعل عبد العزيز يلجأ إليه في أوقات الفراغ أثناء اليوم الدراسي للتدريب بشكل أكبر، خاصة أن التفتيش الموسيقي بالمدارس الثانوية، يرسل لكل مدرسة في بداية العام الدراسي، «نوتة» لمقطوعة موسيقية، تكون بمثابة منهج التربية الموسيقية بالمدرسة، يخوض بها فريق الموسيقى في كل مدرسة، مسابقة في نهاية العام الدراسي، وكانت المقطوعة المقررة على مدرسة دمنهور الثانوية بعنوان «من موسيقى الشعوب»، للملحن المصري عبد الحليم عليّ، الذي درس الموسيقى في مدرسة «برجرين الألمانية» في القاهرة، ثم في مدرسة المعلمين العليا بباريس، وحصل منها على دبلوم العزف على الكمان عام ١٩٣٣، وبعدها حصل على إجازة في التربية والتعليم من المدرسة نفسها في العام ١٩٣٥، ليعود إلى القاهرة وينشئ مدرسة للمتفوقين في الموسيقى، ويصبح رئيسًا لها، في الوقت الذي قدم فيه ألحانه لعدد من المطربين والمطربات خلال هذه المرحلة، حيث قدم للمطرب الشاب عبد الحليم حافظ، في بداية مشواره أغنيتي «أمل» و«لما ترعاني»، كما غنت له المطربة أحلام «يا هنايا»، فضلًا على تلحين العديد من الأوبريتات، والبرامج الإذاعية الغنائية.

قرر مدرس التربية الموسيقية الاهتمام بتدريب عبد العزيز بشكل خاص، ليس فقط لتفوقه، لكن لأن المسابقة النهائية بها فرع للعزف الفردي، فقرر أن يدفع به في هذا الفرع من المسابقة، وهو ما زاد من حماس عبد العزيز وتركيزه الشديد على التفوق، للدرجة التي جعلته يجتهد في

تأليف مقطوعة موسيقية، يشارك بها إلى جانب المقطوعة الرئيسية بالمسابقة، ليحقق نجاحًا جديدًا في هذا الإطار، ويؤكد تفوقه الموسيقي، الأمر الذي جعله ينسى بشكل مؤقت التمثيل، ويركز بشكل كامل في الموسيقى خلال الصفين الدراسيين الأول والثاني، حتى جاء الأستاذ محمد غنيم، مدرس اللغة الإنجليزية بالمدرسة، خلال الصف الثالث الثانوي، وقرر أن يقدم تجربة جديدة لتلاميذه لتقريب منهج اللغة الإنجليزية لهم وتقويتهم لغويًا، فقام باختيار مسرحية بعنوان The Monkey›s Paw أو «مخلب القرد»، وهي مسرحية رعب للكاتب الإنجليزي w.w. Jacob›s، نُشرت لأول مرة في إنجلترا في العام ١٩٠٢، وتدور حول منح ثلاث رغبات لصاحب لعبة «مخلب القرد»، غير أن الأمنيات تأتي بثمن هائل للتدخل في المصير.

مرة أخرى يؤكد عبد العزيز مخيون، تمكنه ليس فقط من الأداء التمثيلي، لكن أيضًا تفوقه في التمثيل باللغة الإنجليزية بتمكن شديد، أبهر أستاذه والمدرسة بكامل هيئة التدريس فيها، فضلًا على التلاميذ، الذين أصبحوا يتعاملون معه على اعتبار أنه ممثل حقيقي، بدأ يشق طريقه الفني، فقرر منذ ذلك اليوم أن يدرس الفن ويحترف العمل به، إما التمثيل أو الموسيقى.

خلال هذه المرحلة المبكرة من الشباب، لم يكن اهتمام عبد العزيز مخيون مقصورًا على الأنشطة المدرسية من خطابة وموسيقى وتمثيل، فضلًا على تعلقه بقراءة الشعر، من خلال الاحتفالات التي كانت تُقام احتفالًا بنجاح عمه في انتخابات «مجلس الأمة»، حيث يأتي عدد كبير من شعراء البحيرة ودمنهور وأبو حمص، لإلقاء قصائدهم الشعرية خلال الاحتفال، مع تعدد أساليب الإلقاء، ما زاد من حبه للشعر وتعلقه به، إضافة إلى قراءاته المتعددة والمتنوعة، التي أسهمت بشكل كبير في تفتيح مداركه ووعيه مبكرًا، للدرجة التي جعلته يحرص على المشاركة في المظاهرات الطلابية التي تندلع من آنٍ لآخر، إما لمساندة القضية الفلسطينية، أو للمطالبة باستقلال وتحرير الجزائر، ما زاد من إحساسه بالوطن، ليس وطنه الصغير مصر، بل الوطن العربي الكبير، وتعرّف على قضاياه المختلفة، في هذه السن المبكرة.

في مفترق الطريق الذي يبدأ عنده كل شاب في اختيار طريقه، الذي سيكمل فيه مشواره وبقية حياته، تنصب أغلب أمنيات التلاميذ خلال هذه المرحلة على قطاعين رئيسيين، القطاع الطبي، والقطاع الهندسي، وبعض من لم يحالفهم الحظ في تحقيق التفوق، يتجهون إلى دراسة الآداب أو الحقوق أو التربية، ليجد عبد العزيز مخيون نفسه يغرد في منطقة مختلفة، وبعيدة عن كل طموحات وأمنيات أقرانه، حيث كانت رغبته الأولى هي دراسة الموسيقى، عبر الالتحاق بمعهد «الكونسرفتوار»، لدراسة الموسيقى، غير أنه لم يكن يدري أنه تأخر على بدء هذه الدراسة، فأيقن أنه لا مفر من دراسة التمثيل دراسة أكاديمية، وحتى يضمن عدم ضياع الفرصة، قرر التقدم لقسم التمثيل في كل من المعهد العالي للفنون المسرحية، والمعهد العالي للسينما، مقررًا إذا ما قُدر له ونجح فيهما معًا، فحتمًا لا بُدّ أن يختار الدراسة في معهد المسرح، لما لهذا الفن من مكانة خاصة بداخله.

تمرد.. واصرار

تقدم عبد العزيز مخيون لاختبارات المعهد العالي للفنون المسرحية، بمشهدين أحدهما فصحى والآخر عامية، ليجد بعدها اسمه ضمن ثمانية طلاب على قائمة الاحتياط، ما يعني نجاح هؤلاء الطلاب، لكن لا مكان لاستيعابهم في المعهد، ما اضطره لأن يستدعي ثوريته المبكرة، ويرتدي للمرة الأولى ثوب المقاتل، الذي لن يخلعه أبدًا بعد ذلك، ويتقدم بشكوى إلى وزير الثقافة والإرشاد عبر مدير مكتبه القاضي والمذيع محمد أمين حماد، وفي الوقت نفسه كان لا بُدّ أن ينتظم في الدراسة بالمعهد العالي للسينما، الذي نجح في اختباراته دون «واسطة»، وراح يستمتع ويستفيد بمحاضرات الأساتذة الكبار، أحمد بدرخان، محمد كريم، عبد الوارث عسر، عبد الفتاح رياض، وغيرهم من أساتذة معهد السينما، ومن حين لآخر يقوم بزيارة خاطفة إلى المعهد العالي للفنون المسرحية، للاستماع والاستمتاع بمحاضرة الأستاذ الفنان محمود مرسي، حتى قادته الصدفة للتأكد من النظر في شكواه، وقبوله بالمعهد العالي للفنون المسرحية، فلم يتردد وقام على الفور بسحب أوراقه من معهد السينما، لاستكمال دراسته في معهد الفنون المسرحية.

شعر عبد العزيز مخيون بأنه حقق أول انتصار له في قاهرة المعز، التي لم يقع في غرامها منذ أن وطأتها قدماه، وزاد من خوفه منها ومن زحامها غير المعهود بالنسبة له، أن شهد العديد من حوادث المترو والترام والسيارات، خلال الفترة القصيرة التي قضاها في القاهرة، منذ قبوله بمعهد السينما، وسكنه في بيت عمه لواء الشرطة، بضاحية مصر الجديدة الهادئة، ما كان فوق احتماله، وشكل عليه عبئًا نفسيًا كبيرًا، وأوجد حاجزًا بينه وبين القاهرة.

أيقن عبد العزيز أنه قد وضع قدميه على الخطوة الأولى لطريق طويل، غير أنه لم يكن يُدرك مدى صعوبته، وحتى لو أدرك، فلم يكن ذلك ما يشغل باله، كما لم يشغله الرحلة الصعبة التي يقطعها يوميًا من مصر الجديدة إلى وسط القاهرة عبر المترو، ليستقل بعدها «أتوبيس» رقم ١٩ المتجه إلى الزمالك، في شارع المعهد السويسري، حيث مقر المعهد، بل إن كل ما يهمه هو قدر العلم الذي سيحصله، بدراسة جادة مستفيضة لفن التمثيل والإخراج المسرحي، في ظل مجموعة من كبار أساتذة هذا الفن، من بينهم، نبيل الألفي، دريني خشبة، محمد مندور، سعد أردش، إبراهيم سكر، وأحمد البدوي، وغيرهم من أساتذة فن المسرح المصري والعربي، الذين تخرج على أيديهم مئات الفنانين، في كل مجالات المسرح، من ممثلين ومخرجين وكتاب ونقاد ومصممي الديكور.

على عكس المتوقع، ربما كانت الدراسة في المعهد العالي للفنون المسرحية، أصعب قليلًا من الدراسة في معهد السينما، إلا أن ذلك لم يكن يمثل عائقًا أمام عبد العزيز، بل على العكس زاد من سعادته، في ظل وجود عدد كبير من الأساتذة الذين طالما سمع عنهم وعن تأثيرهم في مسيرة المسرح المصري، وزاد من سعادته طبيعة المناهج التي تقربه من عشقه للمسرح، سواء الدراسة النظرية للمسرح اليوناني، والمسرح الروماني، والمسرحيات العالمية، وأعمال وليم شكسبير، وعصر النهضة الإيطالي، بالإضافة إلى أسس التمثيل، ونظريات الإخراج، وفنية المسرح، أو بالدراسة العملية والتدريب على التمثيل، وكيفية إعداد الممثل، للدرجة التي مكنته من الخروج إلى سوق العمل مبكرًا، والمشاركة كممثل محترف، على الرغم من أنه لم يزل في العام الأول له في المعهد، لدرجة أنه وقع عليه الاختيار من فريق إعداد البرنامج التليفزيوني الشهير آنذاك «عشرون سؤال»، الذي تقدمه الإعلامية الشهيرة ليلى رستم، والذي يحقق نجاحًا جماهيريًا كبيرًا، فوقع الاختيار على عبد العزيز مخيون للمشاركة في البرنامج، باعتباره ضيفًا من ضيوف البرنامج، ليقوم بطرح عدد من الأسئلة المهمة، المتفق عليها سلفًا، ليؤدي مخيون الدور بإتقان شديد، لدرجة أنه حصل على جائزة في البرنامج، وكانت عبارة عن رسالة الدكتوراه للدكتور لويس عوض، وفي الوقت نفسه أيضًا قام بتجسيد جزء من نشيد الإنشاد، قام بإعداده الشاعر سيد حجاب، لتتوالى مشاركاته خلال هذه المرحلة في العديد من الأعمال التليفزيونية، سواء برامج أو تمثيليات سهرة، وبعض الأدوار الصغيرة في المسلسلات، وعلى الرغم من حرصه الشديد على تحصيل أكبر استفادة من المعهد، وقع أول صدام بينه وبين أحد أساتذته في المعهد!

لم يعتد عبد العزيز التأخير على أي من محاضرات المعهد، غير أن المسافة الطويلة التي يقطعها يوميًا من مصر الجديدة إلى الزمالك، تستغرق وقتًا طويلًا، في ظل حرصه على الابتعاد قدر الإمكان عن الزحام، واختيار وسيلة مواصلات غير مزدحمة، خاصة بعد الحوادث العديدة التي شاهدها بسبب تكالب المواطنين على وسائل المواصلات، سواء المترو أو الأتوبيسات أو حتى الترام، الأمر الذي جعله يتأخر يوميًا على المحاضرة الأولى، والتي كانت لمادة «الترجمة»، ويحاضرها الأستاذ محمد عبد القادر، لكن ما إن دخل عبد العزيز من باب القاعة، حتى استوقفه الأستاذ:

= استنى عندك يا أفندي أنت.

* مين... أنا؟

= أيوه... هو في غيرك جاي متأخر.

* أفندم.

= داخل كده العزبة ولا على بالك.. ولا كأنك متأخر.

* حضرتك عايزني أعمل إيه؟

= أنت كمان مش عاجبك.. قوللي اسمك والقسم اللي بتدرس فيه؟

* عبد العزيز صالح مخيون.. قسم تمثيل وإخراج.

= وجاي متأخر ليه بسلامتك يا بتاع تمثيل وإخراج.

* بسبب المواصلات.

= المواصلات.. وكأنك الوحيد اللي بتيجي بالمواصلات.. ما كل الناس بتركب المواصلات.. اشمعنى أنت يعني؟

* وأنا أعمل إيه.. ما تقول للدولة بتاعتك تحسن وسائل المواصلات.

= الدولة بتاعتي.. إنت كمان بتبجح.. طب اتفضل أخرج برة.. وروح استناني عند باب أوضة العميد.

امتثل عبد العزيز للأمر، وذهب بالفعل وانتظر بالقرب من باب عميد المعهد سعيد خطاب، وما إن انتهت المحاضرة، حتى توجه الأستاذ محمد عبد القادر إلى مكتب العميد، وأمسك عبد العزيز من يده، ودخل به إلى حجرة العميد، وقص عليه ما حدث، ورد فعل عبد العزيز، فما كان من العميد إلا أن قام بفصل عبد العزيز لمدة أسبوع من الدراسة، مع التنبيه إذا تكرر الأمر، سيُحرم من الامتحان.

جاء قرار الفصل لمدة أسبوع، صادمًا لعبد العزيز، فهي المرة الأولى التي يُفصل فيها من الدراسة، حتى لو لمدة أسبوع واحد، فلم يعتد أن يظهر أمام العائلة بمظهر المقصر، بل كان دائمًا طوال سنوات الدراسة في مرحلة ما قبل التعليم الجامعي، مثالًا للانضباط والجدية، وظل دائمًا محل ثقة وإشادة من كل أساتذته، فكيف إذا ما عرف عمه النائب في مجلس الأمة، أو وصل الخبر إلى والده في «أبو حمص»، مؤكد سيكون وقع الخبر عليهما وعلى العائلة كلها أمرًا سيئًا، فاهتدى إلى فكرة أن يواصل ذهابه يوميًا إلى المعهد، من مصر الجديدة إلى الزمالك، والجلوس في فناء المعهد، وتحديدًا أسفل تمثال رائد فن التمثيل المسرحي «جورج أبيض»،

الذي وضع في أحد أركان فناء المعهد، ليجد في اليوم نفسه طالبًا آخر يقترب منه ليجلس بجواره أسفل التمثال، وسرعان ما انضم إليهما ثالث، ليحدث التعارف بينهم، خاصة أن كلًا منهم قد نال الجزاء نفسه، بالفصل لمدة أسبوع:

* أهلًا بيك.. أنا اسمي عبد العزيز مخيون طالب في أولى تمثيل وإخراج.

= أيوه عارفك.. وأنا اسمي كمال رمزي.. قسم نقد.

* أهلًا أهلًا.. أتشرفت.. والأخ برضه قسم النقد.

= أيوه.. الزميل...

– مهدي الحسيني.. اسمي مهدي الحسيني.

* أهلًا وسهلًا.. بس أنا كنت بشوف كمال.. لكن أعتقد إني أول مرة أشوفك.

= فعلًا.. أنا ماجيتش من أول الدراسة.. ولسه جاي من يومين.

* من يومين بس.. ليه؟

– لأني كنت في السجن.

* إيه في السجن.. ليه؟

– لأني شيوعي!

كان الطالب الجديد مهدي الحسيني، قادمًا من قلب المعتقلات، بعد أن زُج به منذ العام ١٩٥٩، منذ التحاقه بالمعهد، ولم يكن تجاوز الثامنة عشرة من عمره، باعتباره مثيرًا للفتن، ومع الأيام، توطدت علاقة عبد العزيز مخيون به، خاصة أن مهدي الحسيني، من ذلك النوع الخدوم، الذي لا يتردد لحظة في تقديم المساعدة للجميع، لكل من يطلبها أو لا يطلبها.. وربما زاده الاعتقال في سن مبكرة، بنوع خاص من الصلابة الداخلية، ليصبح عبد العزيز صديقًا مقربًا من كمال رمزي، غير أنه وجد نفسه منجذبًا بشكل أكبر لأفكار مهدي الحسيني، الذي عندما وجده متأثرًا بقرار فصله لمدة أسبوع، نصحه إذا ما كان يريد إلغاء هذا الفصل، عليه أن يذهب للأستاذ محمد عبد القادر ويعتذر له، لكن ليس هنا في المعهد، لأنه ربما انفعل عليه أكثر وزاد الأمور تعقيدًا، بل عليه أن يذهب إليه في مقر عمله بالإذاعة المصرية، في شارع الشريفين بوسط القاهرة، حيث كان يعمل رئيسًا لقسم الاستماع السياسي في الإذاعة.

لم يتردد عبد العزيز لحظة واحدة، واتجه من فوره إلى إذاعة القاهرة في شارع الشريفين،

وطلب مقابلة الأستاذ محمد عبد القادر، مقدمًا نفسه بأنه أحد تلاميذه في المعهد العالي للفنون المسرحية، فسمحوا له بالدخول إلى مكتبه، حيث وجده يجلس خلف مكتب ضخم، فوق ما يقرب من عشرة تليفونات سوداء اللون، فأشار له بالجلوس، وقد أمسك بسماعتين في وقت واحد كل منهما على أذن، حيث كان يتابع الموقف مع رئاسة الجمهورية، ليذيع خبر تخلي الفريق إبراهيم عبود عن السلطة في دولة السودان الشقيق، بعد أن قاد أول انقلاب عسكري في السودان في نوفمبر ١٩٥٨، غير أنه حينما تسلم السلطة، أوقف العمل بالدستور، وألغى البرلمان، وقضى على نشاط الأحزاب السياسية، ومنح المجالس المحلية المزيد من السلطة وحرية العمل، واتجه حكمه باتجاه التضييق على العمل السياسي، وعمل على تفاقم أزمة جنوب السودان، حتى أطاحت به ثورة شعبية في أكتوبر من العام ١٩٦٤، واستجاب لضغط الجماهير، وقام بتسليم السلطة للحكومة الانتقالية التي كونتها جبهة الهيئات.

كان محمد عبد القادر يتواصل مع الرئاسة، إذا ما كان سيذيع الخبر في نشرة الواحدة والنصف، أم ينتظر للتأكيد ومعرفة التفاصيل، وما إن أنهى المكالمة، حتى تنبه لوجود عبد العزيز:

= إيه في إيه.. إيه اللي جابك هنا؟

* أنا يا فندم عبد العزيز مخيون الـ....

= آه التلميذ في قسم التمثيل والإخراج.

* أيوه يا فندم كنت جاي أعتذر لحضرتك وأقولك أنا آسف على اللي حصل في المحاضرة.

= آسف.. طب خلاص يا ولد روح.. وأنا هاكلم الأستاذ سعيد يشيل الفصل.

* أشكرك يا فندم مش عارف أقولك....

= خلاص يا ولد روح يلا خلاص.

ذهب عبد العزيز واعتذر، رغم عدم اقتناعه بذلك، لكن لحرصه على عدم الغياب ولو لأسبوع واحد عن الدراسة، اضطر لأن يتنازل مؤقتًا عن تمرده ويقدم اعتذاره، خاصة أنه لم يكن مقتنعًا بأسلوب تدريس الأستاذ محمد عبد القادر، الذي كان يقضي معظم وقت المحاضرة في سرد حكايات عن نفسه، وعن رحلاته مع الرئيس جمال عبد الناصر، باعتباره رئيس قسم الاستماع السياسي بالإذاعة، وعن ابنه مصطفى عبد القادر ضابط الشرطة (الذي أصبح وزيرًا للحكم المحلي فيما بعد)، لذا كان عبد العزيز حريصًا على حضور محاضرات الأستاذ

محمد عبد القادر، فقط لإثبات الحضور، فيما كان يهرول للحضور لبقية الأساتذة مثل نبيل الألفي، سعد أردش، دريني خشبة، ومحمد مندور، بل وكان يحرص على الحضور محاضرة الأستاذ الفنان محمود مرسي، على الرغم من أن المحاضرة كانت مخصصة فقط لقسم النقد.

لم يكتفِ عبد العزيز بما يسمعه من أساتذته في معهد الفنون المسرحية، بل أخذ على نفسه عهدًا بصناعة نفسه فنيًا، صناعة فنان جاد مثقف واعٍ وفاهم، له رؤية ووجهة نظر، وليس مجرد ممثل يقف فوق خشبة المسرح، أو أمام الكاميرات، يردد كلمات كتبها مؤلف، ويحركه عبرها مخرج، ورغم إدراكه صعوبة المشوار، إلا أنه لم يتردد في أن يبدأ الرحلة، منذ الأيام الأولى له في المعهد، فأصبح زائرًا دائمًا ويوميًا لـ»كشك إسماعيل» المجاور لدار الأوبرا المصرية وحديقة الأزبكية، لبيع الكتب القديمة والحديثة، ويعرفه كل طلبة الفنون، وكذلك مكتبات «سور الأزبكية»، لشراء كل ما تقع عليه عيناه من كتب الفنون والآداب والمسرح والسينما والروايات العالمية، وكتب الفلسفة، وكتب الموسيقى، خاصة كتب الدكتور حسين فوزي، أول مصري يترأس معهد علوم البحار بالإسكندرية، عقب عودته من بعثته لدراسة علوم الأحياء المائية «الهيدروبولوجيا»، ليصبح أول عميد لكلية العلوم بجامعة الإسكندرية في العام ١٩٤٢، ثم مديرًا للجامعة في العام ١٩٤٥، وطالب بإنشاء المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية عام ١٩٥٧، بل ونادى بإنشاء أكاديمية الفنون، قبل أن يصبح رئيسًا لها في العام ١٩٦٥.

حرص عبد العزيز على البحث عن كتب الدكتور حسين في سور الأزبكية، مثل «سندباد الغرب» و»الموسيقى السيمفونية»، و»سندباد مصري» وغيرها، بل حرص على أن يتابعه في البرنامج الثقافي في إذاعة البرنامج الثاني، حيث يقدم برنامجه «شرح وتحليل»، الذي يقوم خلاله بشرح وتحليل الموسيقى السيمفونية للمستمع المصري البسيط والمتخصص، كما يحرص على قراءة مقاله الأسبوعي في ملحق جريدة «الأهرام»، ما أثر في التكوين الثقافي لعبد العزيز، وتعريفه بفن موسيقى السيمفونية التي يطلق عليها «موسيقى الحضارة».

قراءات عبد العزيز في كتب الموسيقى، والاستماع إلى الشرح والتحليل للموسيقى السيمفونية، ومروره اليومي أمام دار الأوبرا المصرية، جعله يطمع في التطبيق العملي لما يسمعه ويقرأه، بدخول الأوبرا، غير أن ميزانية مصروفه اليومي كطالب لن تسمح بذلك بشكل دوري، خاصة أنه حرص على أن يتعلم اللغة الإنجليزية في مدرسة ليلية بشارع سليمان باشا (طلعت حرب حاليًا)، ويدفع مقابل ذلك ستين قرشًا شهريًا، و»كورس» في اللغة الإنجليزية في الجامعة الأمريكية، إلى جانب شراء الكتب، ومشاهد الأفلام السينمائية، فلن تسمح

الميزانية بالدخول إلى الأوبرا، فقرر أن يقوم بمغامرة ربما نجحت وأوجد حلًا لهذه المشكلة.

استطاع عبد العزيز أن يدخل من الباب الخلفي لدار الأوبرا، بعد أن أوعز للحارس بأنه طالب في معهد التمثيل، وجاء لمقابلة أستاذه الشاعر عبد الرحمن صدقي، الذي يُدرس له بالفعل في الأكاديمية، غير أنه ما إن دخل إلى خشبة المسرح، حتى وجد نفسه أمام مكتب مدير خشبة المسرح، الفنان شكري راغب، الذي استطاع أن يكوّن مع أصدقائه الثلاثة، الفنان سليمان نجيب، والشاعر الرومانسي عبد الرحمن صدقي، والأديب صلاح ذهني، فرقة مصغرة لتطوير العمل في دار الأوبرا المصرية، بعد أن تعلّم على يدي المخرج المسرحي الفرنسي لويس جوفيه، فن إدارة المسرح، ما أكسبه خبرة كبيرة في إدارة العمل في دار الأوبرا المصرية.

أشار شكري راغب بيده إلى عبد العزيز، للاقتراب منه، وأخذه ودخل به إلى مكتبه، وأشار له بالجلوس:

= بتحب المسرح؟

* طبعًا يا فندم بعشقه.

= كده.. هايل.. وإنت بتدرس ولا بتشتغل؟

* لا طبعًا بدرس.. أنا طالب في المعهد العالي للفنون المسرحية.

= هايل جدًا.. واسمك إيه؟

* اسمي عبد العزيز مخيون.

= وأنت جاي ليه يا عبد العزيز عندك معاد مع حد هنا.

* لا يا فندم.. أنا بس كان نفسي أحضر الحفلات الموسيقية في الأوبرا.. بس طبعًا حضرتك عارف إن .....

= فاهم فاهم.. ماتشلش هم.

* اتفضل أمسك.

= إيه ده يا فندم؟

= ده بون.. هاتقدمه على باب الدخول بدل التذكرة.. هايسمحولك بالدخول.

* أنا متشكر جدًا يا فندم.. مش عارف أقول لحضرتك إيه.

= ما تقولش حاجة.. وكل ما تحب تشوف حفل في الأوبرا تيجيلي فورًا.. اتفقنا؟

* اتفقنا يا فندم.. متشكر جدًا جدًا.

شعر عبد العزيز مخيون بأن كل منابع الثقافة الفنية اكتملت لديه، سواء كطالب يتعلم فن التمثيل أكاديميًا في المعهد العالي للفنون المسرحية، أو عبر القراءات المتعددة في مختلف الفنون والآداب والفلسفة، وكذلك تعلم اللغة الإنجليزية، التي ستعينه على متابعة الأدب الإنجليزي، بالإضافة إلى مشاهدة الأفلام السينمائية بشكل دوري، خاصة بعد أن أصبح من سكان وسط القاهرة، حيث انتقل في بداية السنة الثالثة بالمعهد للسكن في شقة عمه عبد العزيز نائب مجلس الأمة بوسط القاهرة، والتي كان يتخذ منها استراحة له، عند حضوره جلسات المجلس، فأشار على عبد العزيز بالعيش فيها لحين الانتهاء من دراسته، لتكون قريبة من المعهد ومن الأماكن التي يتردد عليها في شارع «شامبليون» بوسط القاهرة.

هذا الاقتراب شجع عبد العزيز بشكل كبير على الحضور الدائم لحفلات دار الأوبرا، ومتابعة كل الفرق المصرية والأجنبية التي تعزف الموسيقى، أو تقدم عروض الباليه والمسرحيات العالمية، للفرق المصرية أو العالمية، كما حرص على أن يحضر حفلات الموسيقيين المصريين العائدين من أوروبا بعد دراسة الموسيقى، أمثال شعبان أبو السعد، الذي قدم السيمفونية الخامسة، في أول حفل له على خشبة مسرح الأوبرا، بعد عودته من الخارج، كذلك المايسترو يوسف السيسي، والمايسترو طه ناجي، وآخرين في فرقة أوركسترا القاهرة السيمفوني، من المصريين والأجانب، بل بلغ حبه للتمثيل وعشق خشبة مسرح الأوبرا، أن وافق على أن يكون كومبارسًا في أوبرا قدمت على خشبة مسرح الأوبرا المصرية بعنوان «توسكا»، تأليف موسيقي للموسيقار جاكومو بوتشيني، لنص كتبه لويجي إيليكا جويسيبي جياكوسا، التي عُرضت للمرة الأولى في روما في ١٤ يناير عام ١٩٠٠، وتدور أحداثها حول مشاهد من التعذيب والقتل والانتحار، وجسّد مخيون خلالها دور أحد العساكر، ضمن ثلاثة من العساكر يقومون بتنفيذ حكم الإعدام في البطل.

الباب الثاني...

تجارب مبدع

إعداد الممثل

شعر عبد العزيز مخيون بنقلة نوعية كبيرة جدًا، من مراحل دراسته المدرسية في الابتدائي والإعدادي والثانوي، وحياة القرية البسيطة الهادئة، والعائلة الكبيرة التي تضرب بجذورها في عمق الأرض المصرية، فيما ترتفع فروعها لتطال عنان السماء، لينتقل إلى المدينة، بل العاصمة الأكثر زحامًا وضوضاء، وحياة صاخبة على مدار الساعة، وعجلات لا ترحم من يسقط ولا تلتفت إليه، ورغم ذلك ظل محتفظًا بروحه الهادئة، وتمرده الثائر، على كل ما قد يراه خطأ، أو عكس المفاهيم التي تربى عليها، ورسخت بداخله من قراءاته العديدة المتنوعة، لكن رغم ذلك كله، ظل محتفظًا بوجهه الطفولي، ولون بشرته التي دمغتها شمس مصر، لتؤكد هويته، وصدق مشاعره في صناعة فنان مثقف جاد، مهموم بالعديد من القضايا الفنية والمجتمعية، مؤمنًا بفكرة الكرامة والحرية والعدل.

ذلك كله لم يثنه عن مواصلة مشواره نحو الهدف الذي رسمه لنفسه، عازمًا على تحقيقه مهما كانت العراقيل والعقبات، زاد من اقترابه منه شكل وطبيعة الدراسة، التي راح يلتهم مناهجها باستمتاع، كجائع وجد نفسه أمام مائدة متنوعة ومتلونة من أشهى صنوف وألوان الطعام، من المسرح الإغريقي، إلى المسرح الروماني، من «سفوكليس، يوربيدس، وأستوفانيس، إلى «إينيوس، باكوفيوس، لوسيوس أكسيوس، وماكيوس»، من فنية المسرح، إلى الأدب المسرحي العالمي، وإعداد الممثل، وحرفية التمثيل، وتطور المسرح، على أيدي أساتذة وفنانين محترفين، عبد الرحمن صدقي، علي فهمي، فتوح نشاطي، حمدي غيث، سعد أردش، كمال ياسين، عبد الرحيم الزرقاني، وأساتذة الأدب المسرحي، سواء اليوناني أو الروماني، وأدب العصور الوسطى، ومسرح الكنيسة، كذلك أعمال وليم شكسبير، ومسرح عصر النهضة، وصولًا إلى المسرح الحديث، هنريك إبسن، أنطوان تشيكوف، وأوجست سترندبرج، والمسرح الفرنسي أو «الكلاسيكية العائدة»، من خلال مسرح جان راسين، بيير كورني، ومولير، بالإضافة إلى المسرح العربي، من خلال أعمال توفيق الحكيم، عبد الرحمن الشرقاوي، الفريد فرج، محمود دياب، ميخائيل رومان، ويوسف إدريس وغيرهم.

عشق عبد العزيز مخيون أيضًا دراسة تاريخ الفن، والفن التشكيلي والعمارة، واللغة العربية، واللغة الإنجليزية، ومحاضرات مدربين مادة «المبارزة بالسلاح»، فضلًا على مادة «الإلقاء»، التي يقوم بتدريسها الفنان أحمد البدوي، الفنان المسرحي الذي كف بصره، ولم يتوقف عن العمل وخدمة المسرح، وطلاب المسرح، فكان يحضر إلى المحاضرة بصحبة الفنانة الكبيرة روحية خالد، لتعليم طلبة المعهد كيفية إلقاء النص المسرحي على خشبة المسرح، وتقطيع الجمل، وفترة أخذ النفس وأداء الحوار المسرحي، وكان دائم الاعتراض على اتجاه

الطلبة إلى الاحتراف المبكر، والتسرع في العمل بالمسرح والسينما والتليفزيون أو حتى الإذاعة، مؤكدًا أن هذا التسرع، يمكن أن يسبب لهم العديد من المشاكل في ظهورهم بشكل غير ناضج، الأمر الذي قد يأخذه البعض على طلبة المعهد، وبالتبعية يؤثر على سمعة أساتذة المعهد، فكان يقول لهم دائمًا:

«أنتم مصابون بداء الاحتراف المبكر.. وهذا سوف يسبب لكم العديد من المشاكل».

كذلك عشق عبد العزيز مادة التذوق الموسيقي، التي برع فيها بامتياز، لخلفيته الموسيقية وعشقه للتحليل الموسيقي الذي عرفه على يد الدكتور حسين فوزي، هذا كله بالإضافة إلى أستاذ مادة التمثيل الفنان والمخرج الكبير نبيل الألفي، الذي كان يقوم بتدريب الدفعة على المشاهد التمثيلية، من خلال المسرحيات العالمية المقررة عليها، حيث اختار لعبد العزيز شخصية «هايمون» من مسرحية «أنتيجون»، وراح يدربه على الشخصية وكيفية الأداء، والدخول إلى الشخصية عبر مفاتيحها، وأهمية الوقوف على تفاصيلها الداخلية قبل الخارجية، وفي الوقت نفسه لم يترك مسرحًا من مسارح الدولة، أو فرقة تابعة لهيئة المسرح، تقدم عرضًا على أي من مسارحها، إلا وحرص على أن يحضر البروفة أو العرض.

كانت حركة المسرح خلال هذه الفترة نشطة ومشتعلة، خاصة بعد إنشاء ما أطلق عليه «مسرح التليفزيون» التي جاءت بعد إنشاء التليفزيون المصري في العام ١٩٦٠، ومحاولة ملء ساعات الإرسال، فتم إنشاء ثلاث فرق مسرحية في العام ١٩٦٢، وبعد عام واحد، في سنة ١٩٦٣ أنشأ أربع فرق أخرى، لتقدم هذه التجربة أكثر من ١٨ مسرحية في ذلك الموسم الشتوي فقط، بالإضافة إلى ١٦ مسرحية في الموسم الصيفي؛ حيث تخصصت كل فرقة من فرق مسرح التلفزيون، في تقديم لون معين من المسرح، ففرقة المسرح الكوميدي التي عين عبدالمنعم مدبولي مديرًا لها، اعتمدت كليًا على مجموعة فرقة «ساعة لقلبك»، فؤاد المهندس، محمد عوض، أمين الهنيدي، يوسف عوف، عبد المنعم إبراهيم، أحمد الحداد، وغيرهم، بالإضافة إلى المسرح القومي، والحديث، ومسرح الجيب، ومسرح «توفيق الحيكم»، بالإضافة إلى تخصيص فرقة لتقديم المسرح العالمي، ليقدم من خلالها المسرحيات العالمية المترجمة، وجميعها فرق تتبع الدولة، وتعرض أعمالها في وقت واحد، فبدأ عبد العزيز البحث عن أساتذته الذين يعملون في هذه الفرق، كمخرجين أو مؤلفين، ويحضر البروفات أو العروض، حتى صادف أن حضر أثناء تحضير أستاذه المخرج جلال الشرقاوي لإخراج مسرحية «الزلزال»، من تأليف الدكتور مصطفى محمود، وموسيقى تصويرية يوسف شوقي، الذي يقوم بتدريس مادة التذوق الموسيقي لطلبة المعهد، وديكور أحمد إبراهيم أستاذ الديكور في المعهد أيضًا، فقرر الشرقاوي الاستعانة به هو وبعض زملاء دفعته في المسرحية، محمد جابر أو نور الشريف، مجدي وهبة، ومحمد وفيق، وميرفت سعيد، ومحمد عبد المعطي، ونجوى أبو النجا.

في إحدى ليالي عرض مسرحية «الزلزال»، فوجئ عبد العزيز بما لم يتوقعه من بين الحضور، حيث عرف أن الموسيقار الكبير محمد عبد الوهاب، جاء في واحدة من المرات النادرة في تاريخه، في شتاء ١٩٦٣، ليحضر عرض مسرحية «الزلزال»، لا ليشاهد طلبة المعهد، أو لأهمية موضوع المسرحية، بل فقط لأنه صديق شخصي للدكتور مصطفى محمود، الذي جاء أيضًا لحضور مسرحيته مجسدة على خشبة المسرح، فحرص مخيون على أن ينزل إلى الصالة فور انتهاء العرض ليصافح محمد عبد الوهاب، لكنه كان قد أسرع إلى سيارته، وهو يرتدي «البالطو» الأسود، والطربوش الأحمر، يتحدث مع من يهرولون خلفه، وهو يضع المنديل أمام أنفه وفمه، دون أن يمد يده لأحد يصافحه.

لم يكن عبد العزيز ليكتفي بتدريبات أساتذة، بل حرص على أن يسعى دائمًا للتطوير من نفسه ومن أدواته، حتى إنه خلال قراءاته المتعددة، عرف أن الكاتب والخطيب والسياسي الروماني ماركوس توليوس سيسرو، الذي وُلد في العام ١٠٦ ق.م، في روما القديمة، وصاحب الإنتاج الضخم الذي يعتبر نموذجًا مرجعيًا للتعبير اللاتيني الكلاسيكي، باعتباره كاتبًا وخطيبًا بارعًا ومفوهًا، ومحاميًا ناجحًا، كان يتدرب بشكل دوري على ضبط طبقة صوته أثناء الخطابة، فعرف عبد العزيز أنه كان يخرج إلى مناطق الخلاء، ويقوم بوضع «حصوة صغيرة» و«زلطة»، أسفل لسانه، ويتحدث وهي في فمه بصوت مرتفع، ليحسن من طبقات صوته ويدربها بين الارتفاع والانخفاض، فقرر عبد العزيز أن يخوض هذه التجربة، وخصص وقتًا محددًا كل يوم، يخرج فيه إلى حديقة الميريلاند بمصر الجديدة، ويقوم بتنفيذ التجربة، لضبط إيقاع طبقاته الصوتية، فضلًا على حضور بروفات وعروض أغلب مسارح الدولة، حتى إنه ما إن سمع عن استعداد المخرج والشاعر نجيب سرور، عن استعداده لإخراج مسرحية «وابور الطحين»، تأليف نعمان عاشور، على خشبة مسرح «توفيق الحكيم»، حتى ذهب لمشاهدة البروفات، فاختاره نجيب ليكون ضمن فريق المسرحية، مشاركًا في «الكورس»، يقوم بالتعليق على أحداث المسرحية، وسرد بعض الوقائع، على أن يتقاضى في البروفة الواحدة خمسة وستين قرشًا، تزيد قليلًا في كل ليلة عرض، وعلى الرغم من أنه لم يحصل على دور بالمسرحية كممثل، إلا أنه كان لديه فرصة مهمة لمشاهدة أسلوب إخراج نجيب سرور في المسرح، بل إن الأهم من ذلك أنه خرج من المسرحية، وهو صديق شخصي للشاعر والكاتب والمخرج نجيب سرور، وهو لايزال طالبًا في السنة الثانية بمعهد الفنون المسرحية.

على مدار سنوات الدراسة الأربع في معهد الفنون المسرحية، اكتسب عبد العزيز العديد من الثقافات والخبرات العلمية والفنية، وشارك في العديد من الأعمال المسرحية العالمية والعربية، فقدم العديد من الأدوار لعل أبرزها «هايمون» في «أنتيجون»، و«تيريسياس» العراف الأعمى، الذي يعرف حقيقة نسب «أوديب»، و«ياجو» في مسرحية «عطيل»، و«هاملت»، و«روميو» في مسرحية «روميو وجولييت»، وهي الشخصية التي خاض بها

امتحان السنة الثالثة في المعهد، وغيرها العديد من الأدوار، بل إنه تصدى لبطولة أول مسرحية له دون مرحلة الاحتراف، عندما قدم مسرحية «كل حي» أمام المذبح لكاتدرائية العباسية، والتي أخرجها له زميل دراسته الفنان ماهر لبيب (رحمه الله)، كما قدم مسرحية «فاجعة فلورنسية» للكاتب أوسكار وايلد، والتي قام بتدريبه عليها أستاذه نبيل الألفي، وجسد فيها دور «الأمير»، فيما جسد أمامه دور التاجر زميل دراسته مجدي وهبة (رحمه الله)، وغيرها العديد من الأعمال على خشبة مسرح معهد الفنون المسرحية.

تشرّب مخيون مناهج أساتذته بالمعهد في التدريب على الأداء، لا ليكون صورة من أحدهم، لكن ليكون نفسه، ليخرج شكل الممثل الذي يتم إعداده ليخرج للحياة العملية بعد عدة أشهر، لا كتلميذ يجيد تقليد أساتذته، لكن كزميل له أسلوبه ورؤيته ومنهجه في التمثيل والحياة، حيث بدأ العمل على مسرحيات مشروع التخرج مع أستاذه نبيل الألفي، حيث اختار ثلاثة أعمال يقدمها للتخرج، «هاملت» من إخراج فاروق الدمرداش، ومسرحية «حيث وضعت علامة الصليب»، تأليف يوجين أونيل، ومسرحية باللهجة العامية بعنوان «القضية»، تأليف لطفي الخولي، حيث جسّد في الأخيرة شخصية رجل كهل «غاوي محاكم»، وبدأ بالفعل التدريب على المسرحيات الثلاث، حتى فوجئ يومًا بتوقف التدريبات والبروفات، وسادت حالة من الارتباك والاستعدادات غير العادية، فعرف أن اليوم الخامس والعشرين من شهر فبراير من العام ١٩٦٧، جاء إلى مصر، الكاتب المسرحي والناقد الأدبي والفيلسوف الوجودي الفرنسي جان بول سارتر، متقدمًا وفدًا يتألف من الكاتبة والناشطة النسوية الأشهر سيمون دي بوفوار، وكلود لانسمان، مدير تحرير مجلة «العصور الحديثة» الباريسية، التي يصدرها سارتر، ضمن زيارة تاريخية إلى مصر، والتي دامت ستة عشر يومًا، بدعوة من الكاتب المصري الكبير توفيق الحكيم، ممثلًا لمجلة «الطليعة»، أحد إصدارات مؤسسة «الأهرام»، التي انتدبته ليكون مرافقًا للوفد الزائر رفيع المستوى، مع عدد من كبار كتاب الصحيفة، منهم، الدكتور حسين فوزي، الدكتور لويس عوض، الأستاذ لطفي الخولي، رئيس تحرير مجلة «الطليعة»، كما سيكون في استقباله الكاتب محمد حسنين هيكل، رئيس تحرير «الأهرام».

لم تكن زيارة سارتر وصحبته مقصورة على المبنى العتيق، بل امتدت لأماكن أخرى عديدة، سواء في القاهرة أو بعض الأقاليم، ما بين المتحف المصري ومتحف الفن الإسلامي والمتحف القبطي، وبعض المواقع الأثرية والثقافية المختلفة مثل الأهرامات، الكنيسة المعلقة، منزل رمسيس ويصا، وبعض معارض الفن التشكيلي، واتجه أيضًا لبعض قرى الصعيد جنوبًا، بل وذهب إلى قرية «كمشيش» بمحافظة المنوفية شمالًا، والتقى فلاحي القرية، كما كانت له محطة بارزة بلقاء الزعيم جمال عبد الناصر، ليكون من بين الأماكن التي حرص على زيارتها المعهد العالي للفنون المسرحية، بأكاديمية الفنون، بعد أن وجه له الكاتب لطفي الخولي الدعوة.

زار سارتر وبصحبته سيمون دي بوفوار، وكلود لانسمان، ليكون نبيل الألفي مرافقًا لهم خلال تفقدهم المعهد في مكانه الجديد، بالهرم، ضمن معاهد الأكاديمية، خاصة أن بعثة نبيل الألفي الدراسية كانت في فرنسا، ويجيد التحدث باللغة الفرنسية كالعربية، ليكون حدثًا تاريخيًا، لهذه الدفعة من الطلبة تحديدًا، الذين قُدر لهم الاقتراب من أحد فلاسفة هذا العصر العالميين، وواحد من أهم كتاب المسرح في العالم.

قرر المسرح القومي إعداد عمل مسرحي، ضمن الاحتفاء بوجود سارتر، فتم عمل إعداد قصير لواحدة من مسرحياته بعنوان «الذباب» عن ترجمة الدكتور محمد محمد القصاص، ومن إخراج سعد أردش، وتمت دعوته لمشاهدة هذا الجزء القصير المعد عن مسرحيته، وقامت الفنانة سميحة أيوب بدور «إلكترا»، وقام الفنان فاروق الدمرداش بشخصية «أورست»، فيما شارك عبد العزيز وبقية زملاء دفعته في أدوار «الكورس»، فنالت إعجاب سارتر بشكل كبير.

بعد انتهاء المسرحية، وفيما انتقل سارتر ومرافقوه لتناول الشاي، تجرأ عبد العزيز واقترب منه، وهو يحمل نسخة مسرحية «الذباب» المترجمة، ومد يده بها تجاه سارتر، وهو يقول بالفرنسية: * c, est les mouches en arabe

بما يعني أنه يريد أن يوقع له النسخة العربية من «الذباب»، فنظر له سارتر وابتسم، وتناول منه الكتاب، وقام بالتوقيع عليه، ما أثار غضب منظم الزيارة الكاتب لطفي الخولي، غير أن عبد العزيز لم يعبأ بغضبه، فهي فرصة لا تعوض أن يأخذ توقيعًا، مجرد توقيع، جان بول سارتر على إحدى مسرحياته، لتنتهي تلك الزيارة التاريخية، بتأكيد سارتر في تصريحات ما قبل المغادرة: «ما رأيته هنا يخالف تمامًا الصورة التي رسمها الاستعمار لمصر منذ عام ١٩٥٦».

عاد عبد العزيز لاستكمال تدريباته على مسرحيات التخرج، «هاملت» من أعمال شكسبير، ومسرحية «حيث وضعت علامة الصليب»، تأليف يوجين أونيل، ومسرحية «القضية»، تأليف لطفي الخولي، التي سيقدمها باللهجة العامية، غير أنه قبل التقدم لأداء الامتحان فوجئ مثلما فوجئ الشعب المصري والأمة والعربية كلها، في يوم ٥ يونيو من العام ١٩٦٧، بدوي صفارات الإنذار، وهجوم خاطف ومفاجئ قامت به القوات الجوية الإسرائيلية ضد المطارات والطائرات المصرية، بمعدل ١٢ طائرة لكل مركز جوي في مصر.

وقف الزعيم جمال عبد الناصر صامدًا لم ينحنِ ولم يتراجع، بل انخرط في عملية صعبة لإعادة بناء القوات المسلحة ومواجهة الموقف الذي وجد العرب أنفسهم فيه بين عشية وضحاها، إذ لم يكن سيناريو الهزيمة واردًا على الإطلاق، بل لقد دخلت الجيوش العربية، إلى أتون حرب الأيام الستة التي فرض فيها الإسرائيليون التوقيت الذي يريدون، ولم يكن لدينا سيناريو آخر وهو الأسوأ، ذلك الذي يرتبط باحتمالات هزيمة، لم تكن واردة على الإطلاق في العقل العربي.

أثناء التدريبات على مشاهد الامتحان في مسرح الأزبكية «المسرح القومي»، سمع الطلبة والعاملون في المسرح دوي الانفجارات وصافرات الإنذار، فخرج عبد العزيز مخيون من المسرح مع زملائه إلى ميدان العتبة، فوجدوا مصفحات الجيش وحاملات جنود، فجرى خلفها هو وزملاؤه وهم يرددون لهم دون جدوى:

* «خدونا معاكم.. عايزين نحارب.. خدونا معاكم».

عاد عبد العزيز إلى بيته حزينًا، لا يعرف ما الذي حدث، شعر بانكسار وشرخ كبير بداخله، خاصة عندما بدأ يستمع إلى بث الإذاعة المصرية العديد من الأغنيات الحزينة مثل «بلدي أحببتك يا بلدي»، كلمات مرسي جميل عزيز، ألحان وغناء محمد فوزي، «عدى النهار»، كلمات عبد الرحمن الأبنودي وألحان بليغ حمدي، وغناء عبد الحليم حافظ، وغيرها من تلك الأغنيات التي تعبر عن النكسة والانكسار.

بعدها صدر أمر من الدولة بتوقف جميع الامتحانات في المدارس والجامعات، فتوقفت تدريبات عبد العزيز وأقرانه على مشاهد مسرحيات التخرج، حتى إشعار آخر، غير أن ذلك لم يدم طويلًا، وصدر قرار جديد بعد عدة أيام باستئناف الامتحانات، ليعاود عبد العزيز التدريبات، خاصة العمل الرئيسي «هاملت»، الذي كان يعتمد فيها على النص الأصلي باللغة الإنجليزية، فوجد متعة كبيرة في حفظ النص باللغة الإنجليزية، بل واكتشف رداءة الترجمة العربية للنص، فبدأ يُعيد ترجمته مجددًا بمساعدة زميل له من خريجي معهد السينما، وخريج كلية الآداب قسم لغة إنجليزية، ما أوجد فرقًا كبيرًا في أدائه للنص الذي قام هو بترجمته.

تقدم عبد العزيز للامتحان أمام لجنة من المعهد، يتقدمهم أستاذه نبيل الألفي، وجلال الشرقاوي، وعلي فهمي، وعدد من كبار الفنانين والمخرجين، بينهم الشاعر الكبير والكاتب عزيز أباظة، ليقدم مخيون المشهدين الرئيسيين له، «هاملت» و«حيث وضعت علامة الصليب»، فيما اشتركت الدفعة كلها في تقديم مسرحية «القضية»، ليعلن عبد العزيز تفوقه كممثل، ويجيزله أساتذته تخرجه، معلنين مولد ممثل جديد زميل لهم، هو وبقية زملاء دفعته، نور الشريف، مجدي وهبة، محمد وفيق، ميرفت سعيد، محمد عبد المعطي، ونجوى أبو النجا.

هاوٍ في عالم محترف

نجح عبد العزيز مخيون، في امتحان التخرج وأبهر أساتذته، وتم إعلانه ممثلًا مؤهلًا قادرًا على الانطلاق في سوق العمل الفني، وهو الإحساس نفسه الذي انتاب عبد العزيز، درس وتعلم كل ما وصلت إليه يداه من علم ومعرفة حول كل أشكال الفنون، وليس التمثيل وحده، تعلم تذوق الموسيقى بكل أنواعها، درس وتعلم عمارة المسرح وكل ما يتعلق بخشبته، درس الفن التشكيلي ورواده ومدارسه، غاص في بحر الدراما من الإغريقية إلى الرومانسية لعصر النهضة، وصولًا إلى الحديثة، درس الإنجليزية وأجادها، واقترب كثيرًا من الفرنسية، مع إتقان العربية الفصحى، اطلع على الأدب الإنجليزي والفرنسي، وأشهر الكتاب والأعمال التي قدمت من خلالهما، عمل على تدريب نفسه وتدريب صوته، ذلك إلى جانب موهبة مميزة حباه الله بها.

فور التخرج التحق عبد العزيز بالقوات المسلحة، لأداء الخدمة العسكرية، حيث تم إلحاقه بسلاح الحرب الإلكترونية، وهو سلاح جديد على الجيش المصري، حيث كان لحرب الاستنزاف، التي بدأت عقب النكسة، أكبر الأثر في ظهور سلاح الحرب الإلكترونية، لكي يقوم باستطلاع ترددات الرادارات ومراكز القيادة والسيطرة وتوجيه المقاتلات وتحديد أماكنها والتشويش عليها عند اللزوم، والتأثير السلبي على كل من الطائرات وصواريخ الدفاع الجوي، وجاء قرار إنشاء سلاح الحرب الإلكترونية لسد هذه الثغرة، وتم إنشاء ٥ أفواج في العام ١٩٦٨.

بعد اكتشاف مؤهل عبد العزيز مخيون، تم إلحاقه بسلاح التوجيه المعنوي، حيث بدأ في ممارسة التمثيل أثناء الخدمة العسكرية في الفرقة الخاصة به رقم ٢، وهي فرقة معروفه في تاريخ القوات المسلحة، والتي كان يتم إعداد المجند فيها إعدادًا علميًا وثقافيًا لمدة ٦ أشهر، لممارسة التوجيه المعنوي بعدها، لتنتهي فترة الخدمة العسكرية، ويخرج عبد العزيز للحياة العملية، وكان عليه أن يواجه هذا العالم الخاص، بما يحمله من ثقافة وإمكانات فنية، حرص على أن يعدها إعدادًا جيدًا، فقد فعل عبد العزيز كل شيء يمكن أن يجعل منه ممثلًا جادًا متمكنًا من نفسه وأدواته، يمكن أن يؤدي أدواره ببراعة غير تقليدية، غير أنه لم يهتم أن يحصن نفسه أو يتسلح بما يمكنه من وضع نفسه في المكانة التي تليق به وسط جيله وزملاء دراسته، والأجيال السابقة التي لن تفسح الطريق إلا لكل موهبة حقيقية قادرة على المنافسة.

لم يهتم مخيون، كما لم يلتفت إلى أنه نزل إلى الساحة الفنية، مجردًا من تلك الحيل والأساليب التي يلجأ إليها بعض الفنانين، لصنع «هالة» وهمية من النجومية، يواجهون بها شركات الإنتاج والمخرجين والمؤلفين، أو حتى كبار النجوم السابقين، بما يمكنهم من فرض أنفسهم، وإفساح الطريق لهم، حتى لو لم يمتلك بعضهم الموهبة الكافية.. لكن يبدو أن هذه هي المفاتيح السحرية للدخول إلى سوق العمل الفني!

في مطلع العام ١٩٦٧، وعقب عودة المخرج الشاب محمد فاضل من ألمانيا، استدعاه الإعلامي سعد لبيب، مدير عام البرامج بالتليفزيون، وطلب منه إخراج مسلسل اجتماعي، أسوة بمسلسل اجتماعي أمريكي بعنوان «بيتون بليس»، بدأ عرضه في ١٥ سبتمبر ١٩٦٤، على هيئة الإذاعة الأمريكية، بلغ خمسة مواسم، قدم منه ما يقرب من ٥١٤ حلقة، من تأليف جريس ميتاليوس، ومن إخراج بول موناش وإيرنا فيليبس، وحقق المسلسل نجاحًا ودويًا كبيرين، فأراد لبيب أن يقدم التليفزيون المصري، عملًا على الطريق نفسه، فاختار مخرجًا شابًا عائدًا من أوروبا مؤخرًا.

أعجب محمد فاضل بالفكرة وطار بها فرحًا، وبدأ بالفعل في التحضير، فيما راح يكتب الحلقات، اثنان من شباب مؤلفي الدراما البارعين، عاصم توفيق ومصطفى كامل، غير أنه وقبل بدء تصوير الحلقات، وقعت نكسة ١٩٦٧، فتوقف كل شيء.

خلال فترة التوقف بدأ محمد فاضل بالتعاون مع عاصم توفيق ومصطفى كامل، إعادة صياغة مضامين المسلسل، بما يتناسب والمرحلة الجديدة؛ حيث كان يتعين أن يتزامن العمل مع قضية عامة، فلما وقعت النكسة تم إعادة النظر فيه، والكتابة في سياق يشبه تشريح أسباب النكسة، وكتابة حلقات أشبه بالحلقات النقدية السياسية، بعدما كانت دراما اجتماعية، فتمت كتابة حلقات عن البيروقراطية، وعدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وعن النفاق بأشكاله، وكانت كل حلقة يكتبها مؤلف واحد، وكل حلقة لها موضوع محدد، بعدها يجتمع مجلس تحرير المسلسل، فاضل وعاصم ومصطفى، لاختيار قضية معاصرة، لتكون موضوع الحلقة المقبلة، على أن تذاع حلقة واحدة كل أسبوع، وتُعاد في يوم بمنتصف الأسبوع.

قرر محمد فاضل أن يستعين في بطولة المسلسل، بعدد من طلبة وخريجي المعهد العالي للفنون المسرحية، حيث كان المخرج والفنان نبيل الألفي، يحرص على دعوة كبار مخرجي السينما، وبعض مخرجي التليفزيون، وعدد من النقاد، لمشاهدة مسرحيات الطلبة في سنواتهم النهائية، بما يمنحهم الفرصة للتعامل المباشر مع السوق، وكان محمد فاضل من بين من حضروا مشاهد التخرج لدفعة عبد العزيز مخيون، في مسرح الأزبكية، ولم يمر عدة أشهر بعد التخرج، حتى وجد عبد العزيز أحد زملائه يخبره بأن المخرج محمد فاضل يبحث عنه ويريده فورًا.

لم يتردد مخيون، وذهب على الفور إلى مقابلة المخرج محمد فاضل، الذي كان يقوم بتوزيع أدوار المسلسل:

= أهلًا يا عبد العزيز.. على فكرة أنا شوفت المشاهد بتاعتك في حفل التخرج.. وكنت هايل جدًا.

* أشكرك يا أستاذ محمد من ذوقك ولطفك.

= شوف يا سيدي إحنا بنعمل مسلسل اجتماعي اسمه «القاهرة والناس» حاجة كده على طريقة المسلسل الأمريكي «بيتون بليس» بس من بيئتنا ومشاكلنا وحياتنا إحنا.

* عظيم جدًا يا أستاذ.. فكرة هايلة.

= اتفضل أمسك.

* إيه ده يا أستاذ.

= دول تلات حلقات من المسلسل.. هاتعمل فيهم شخصية عادل.. وعادل ده تقريبًا هو بطل المسلسل.

* أنا متشكر جدًا يا أستاذ.. مش عارف أقول لحضرتك إيه على الثقة دي.

= أنت ممثل كويس جدًا يا عبد العزيز.. وهايكون لك مستقبل كبير.

* أنا فعلًا ممتن جدًا لحضرتك وإن شاء الله أكون عند حسن ظنك.

= اقرأ الحلقات واقرأ دورك كويس.. ونتقابل هنا بكرة الساعة ١٠ صباحًا.

* إن شاء الله هاكون هنا قبل عشرة.

خرج عبد العزيز من مكتب محمد فاضل بالتليفزيون، يحمل الحلقات الثلاث، وهو يكاد يطير فوق السحاب، شعر بأن الدنيا ستضحك له، وأن الفن المصري يفتح ذراعيه له ليستقبل فنانًا مثقفًا واعيًا، يسعى لأن يضع بصمة واضحة له، ولم ينم ليلته، وراح يقرأ الحلقات ودوره جيدًا، ويضع بعض الملاحظات على هامش السيناريو، وأغلبها تساؤلات حول شخصية «عادل» ودوافعه للقيام ببعض التصرفات، مثلما تعلم في معهد التمثيل، عن الغوص في تفاصيل الشخصية ودوافعها وأهدافها، إلى جانب مظهرها الخارجي وملابسه وحركاته وسكناته، وقبل أن تدق الساعة العاشرة، كان عبد العزيز موجود في الممر الذي يضم حجرات المخرجين بالتليفزيون، ولأن الحجرات متشابهة، فراح يمر عليها بحثًا عن غرفة المخرج محمد فاضل، حتى مر أمامها، فوجده يجلس مع زميل دفعته الفنان الشاب نور الشريف.

مر عبد العزيز من أمام الغرفة بسرعة، ثم توقف بعدها وراح يفكر مع نفسه في هذا المشهد الذي رآه، ووجود نور الشريف مع محمد فاضل يتحدثان، ويمسك نور ببعض الحلقات في يديه، وعبد العزيز يعرف طبيعة نور جيدًا، حيث كان يقدم نفس أدواره في المعهد، ويؤدي بالطريقة نفسها تقريبًا، فمن المؤكد أن محمد فاضل سيسند إليه دور «عادل»، إذن لماذا طلب منه أن يقرأ دور عادل وأعطاه الحلقات الثلاث؟ وهل من المفترض أن يدخل الآن في الموعد، فيجد محمد فاضل يعتذر له ويقول إنه قد أسند دور «عادل» إلى زميل دفعته نور الشريف؟ من المؤكد ليس هناك سوى ذلك، إذن لماذا ينتظر أن يقول له فضلًا، لا بد أن تأتي

المبادرة منه، وهو من يعتذر عن الدور قبل أن يسحبه منه فاضل معتذرًا، ولم يشأ مخيون أن يقتحم عليهما الجلسة، وانتظر قرابة نصف ساعة، وما إن خرج نور، حتى توجه إلى حجرة فاضل، وعزّ عليه أن يسأله هل ترشيحه لايزال قائمًا؟، بل قام برد الحلقات إلى فاضل وهو يبتسم، وراح ينتظر رد الفعل، فوجد فاضل يأخذ الحلقات دون أن ينطق ببنت شفة، وهز رأسه وتناول منه الحلقات، فوصلت الرسالة إلى عبد العزيز.

كانت هذه المعركة الأولى التي يخسرها عبد العزيز مخيون، فور تخرجه وخروجه إلى سوق العمل الذي له قوانينه الخاصة، والتي من الواضح أن مخيون لم يدركها، وربما لا يريد أن يدركها، لإيمانه بأن الفنان كتلة إحساس ومشاعر، يعتمد على ثقافته وفكره وموهبته، قبل أن يعتمد على جسده وملامحه في تسويق نفسه كممثل، كما لم يمانع من المشاركة في أي عمل، يرى أنه قد يفيده ويقدم من خلاله شيئًا، وربما هو ما جعله يوافق على المشاركة بدور صغير في سهرة تليفزيونية بعنوان «كليوباترا»، تم إعدادها خصيصًا باعتبارها مقررة على طلبة الثانوية العامة باللغة الإنجليزية، وما إن عرف عبد العزيز، حتى توجه إلى التليفزيون، بهدف البحث عن فرصة فيها، فما إن دخل من باب التليفزيون، حتى اتجه إلى «كافيتريا» التليفزيون في الدور الأول، علّه يجد من يستطيع أن يسأله أو يستفسر منه، فوجد رجلًا طويل القامة ممتلئ الجسد، يرتدي ملابس عسكري روماني، ويقف يأكل سندوتش، فاقترب منه:

* حضرتك ممثل مش كده.

= أيوه يا سيدي.. أنت تعرفني.. ولا علشان الملابس يعني.

* آه طبعًا.. أنا بس ....

= وفر كلامك... أنا ممثل واسمي سمير ولي الدين.

* آه طبعًا أستاذ سمير.

= وحضرتك مين على كده.. ممثل ولا جاي لحد هنا.

* لا أنا طالب في معهد الفنون المسرحية.. اسمي عبد العزيز مخيون.

= عبد العزيز مخيون... قوللي أنت تقرب للأستاذ محمد مخيون.

* آه طبعًا ده يبقى عمي.

= صحيح.. ونعم الناس.. ده راجل محترم.. وعمل معايا موقف وأنا لسه في الفيوم.. مش ممكن أنساه طول ما أنا عايش.. ناس أكابر صح.

* ربنا يخليك ده من ذوقك.

= قوللي أنت كنت جاي تسأل عن إيه؟

* كنت سامع إن فيه فرصة لطلبة المعهد يشتغلوا في السهرات التليفزيونية.

= آه طبعًا أمال.. من حقك تشتغل.. وخد بالك طالب المعهد بياخد في السهرة أربعة جنيه علشان ما حدش يضحك عليك.. وإن شاء الله لما تتخرج هتاخد اتناشر جنيه.. أما بقى لما ربنا يكرمك وتبقى نجم مشهور.. فأجرك يا سيدي هاينط يبقى أربعين جنيه حتة واحدة.

* أنا ممتن جدًا لك.. ألف شكر.

وقع الاختيار عليه لتمكنه من التمثيل باللغة الإنجليزية، وشارك معه فيها الفنان سمير صبري، والفنان والإعلامي علي جوهر، وكلاهما متمكن أيضًا من الإنجليزية.

لم يقف عبد العزيز عند مشكلة ضياع الأدوار منه كثيرًا، بل حرص على أن يتخطاها سريعًا، خاصة أنه في مقتبل العمر، ولايزال المشوار طويلًا، فلم يحزن لذهاب دوره في مسلسل «القاهرة والناس» إلى صديقه وزميل دراسته نور الشريف، بل حزن للموقف نفسه، غير أنه أيضًا حاول أن ينسى الموقف، بل ربما نساه بالفعل، بدليل أن المخرج محمد فاضل عندما أرسل إليه مرة أخرى لم يتردد، وذهب إلى مقابلته على الفور، ليصدم مجددًا، عندما وجده يسند إليه شخصية ثانوية في المسلسل، دور شاب يعيش مع مجموعة شباب من الطلبة المغتربين من الريف، يسكنون في شقة مواجهة لشقة يسكن فيها مجموعة من المدرسات المغتربات أيضًا، ويحدث تعارف وتقارب بين الطلبة والمدرسات وتولد بينهم قصص حب، ليقدم عبد العزيز الدور ببراعة وبراءة شديدة، جعلته يعلق بأذهان المشاهدين، وتأكد من ذلك، عندما بدأ يمشي في الشارع بعد عرض الحلقات، وبدأ الجمهور يُشير إليه:

= «الممثل اللي كان في القاهرة والناس أهو».

شعر المخرجون وصناع الدراما التليفزيونية، بأن هناك ممثلًا شابًا يتمتع بحضور خاص، ويمتلك موهبة خاصة، تؤهله لنوعية مهمة من الأدوار، هادئ لا ينفعل، يقدم ما يسند إليه من أدوار ببراعة، وهو ما جعل المخرج التليفزيوني إبراهيم عبد الجليل يسند إليه دورًا مهمًا.

قرب نهاية العام ١٩٦٨، طلبته شركة «فلمينتاج» التابعة لمؤسسة السينما في القطاع العام، لفرصة، اعتبرها كل من حوله فرصة عمره لأكثر من سبب، الأول أن الدور بطولة مطلقة، وهو لايزال في مستهل مشواره الفني، والثاني أن الفيلم من إنتاج شركة تابعة للقطاع العام، أي إنتاج الدولة، الأمر الذي قد يفتح له أبواب شركات الإنتاج الخاص، ورغم ذلك لم يضع عبد العزيز ذلك كله في الحسبان، بل إن كل ما يهمه هو طبيعة الدور وأهميته في الدراما، وأهميته بالنسبة للجمهور.

كان الدور من خلال فيلم جاسوسية في إطار غنائي استعراضي بعنوان «موسيقى وجاسوسية وحب»، من تأليف إيهاب الأزهري، مدير إذاعة السودان، وإخراج نور الدمرداش، وتدور أحداثه حول شبكة جاسوسية تعمل في مصر، يقوم «كلوتز» رئيس الشبكة باستدعاء

العازف الموسيقي «كارل» لتكليفه بإحدى مهام التجسس في مصر، على إثرها يلتحق «كارل» بالعمل في دار الأوبرا المصرية، باعتباره عازفًا لآلة «الكمان»، ثم يبدأ في توسيع دائرة علاقاته لكي يتمم مهمته، يحاول التقرب من «إكرام» زميلته في الفرقة، والمرتبطة بزميلها في الفرقة «صلاح»، الذي يشعر بالغيرة، دون أن يعلم أن «إكرام» مكلفة من قبل الأمن بمجاراة «كارل» حتى يتم الإيقاع به وبشبكة الجاسوسية.

ذهب عبد العزيز مخيون لشركة فيلمنتاج التي يرأس مجلس إدارتها الكاتب سعد الدين وهبة، وقام بتوقيع العقد وتسلم نسخة السيناريو، لتجسيد شخصية البطل «صلاح» راقص ومغنٍ في الفرقة القومية، فيما تجسد شخصية البطلة شمس البارودي، ورئيس شبكة الجاسوسية في القاهرة عادل أدهم، والجاسوس الموسيقي إبراهيم خان، وتجسد دور والدة إكرام نعيمة الصغير.

كان اليوم الأول في تصوير الفيلم في صحراء الأهرام، حيث أدى عبد العزيز مشاهده بإتقان بالغ، جعلت المخرج نور الدمرداش يثني عليه هو وجميع العاملين في التصوير، ثم اليوم الثاني داخلي في أستوديو مصر، في ديكور شقة «إكرام»؛ حيث يذهب «صلاح» يسأل عن غياب «إكرام» عن الفرقة، فلا يجدها، ويلتقي والدتها نعيمة الصغير، ويؤدي المشهد أمامها ببراعة شديدة، ما جعل نعيمة تثني على أدائه، وقامت بتحيته أمام جميع العاملين، ثم أخرجت «علبة سجائر كليوباترا» من حقيبة يدها وقامت بتوزيعها بالكامل على العمال في البلاتوه، ابتهاجًا بأداء مخيون، ليكون يوم التصوير الثالث في استقبال فندق «قصر الأهرام»؛ حيث من المفترض أن يذهب «صلاح» يسأل موظف الاستقبال عن «كارل»، وفيما يسأله أشار مخيون بيده ليدلل عن «كارل» بأنه عازف «الكمان»، وهنا استوقفه نور الدمرداش صائحًا:

= يا أستاذ.. الموظف مش أخرس علشان تشاور له بأيدك بعزف الكمان.

* يا أستاذ نور.. دي حركة تلقائية بتبين للموظف شخصية اللي بسأل عنه.

= أنت حضرتك هاتتفلسف كمان.

قبل أن ينصرف مخيون من البلاتوه، سأل عن موعد التصوير في اليوم التالي، أخبروه أن ينتظر صباحًا أمام باب أستوديو الأهرام، وستأتي سيارة تصحبه إلى مكان التصوير، وهو ما نفذه مخيون دون شك في شيء، وفي الموعد المحدد بالفعل كان موجودًا أمام باب أستوديو الأهرام، وفجأة جاء المخرج الشاب علي بدرخان، دفعة عبد العزيز في المعهد العالي للسينما، صافحه ورحب به، ثم انصرف حيث كان يعمل مساعدًا للمخرج يوسف شاهين في فيلم «الاختيار»، الذي كان يتم تصويره في الوقت نفسه.

ما إن انصرف بدرخان حتى جاء كامل الحفناوي، مدير إنتاج فيلم «موسيقى وجاسوسية وحب»، صافح عبد العزيز، ثم انتحى به جانبًا، ووضع يده على كتفه وقال له:

= اسمع يا عبد العزيز.. أنا عاوز أقولك كلمتين.

* تحت أمرك يا أستاذ كامل خير في إيه؟

= خير إن شاء الله.. بص أنا عارف إن الفيلم ده ممكن يكون أول فيلم لك.. لكن أكيد مش هايكون آخر فيلم.

* إن شاء الله طبعًا.. ليه بس في إيه؟

= لا أبدًا أنا قصدي أقولك إنك لسه في بداية المشوار.. وبكرة يا سيدي ها تزهق من كتر الشغل.

* أستاذ كامل.. المقدمات دي كلها ليه.. ما تقوللي في إيه على طول.

= للأسف أنا مهمتي صعبة.. المفروض إني أبلغك إنهم غيروك في الفيلم.. وجابوا ممثل تاني.

* إيه ممثل تاني؟! إزاي وليه؟

= شوف أنا بقولك مهمتي صعبة.. أبلغك بالخبر.. لكن للأسف معنديش إجابات عن أي أسئلة.. ده قرار المخرج وشركة الإنتاج.. ليه ماعرفش صدقني.

* أيوه بس أنا اشتغلت في الفيلم تلت أربع أيام.. يعني ....

= ما هو علشان كده شركة الإنتاج عملتك شيك بمبلغ ١٠٠ جنيه تقريبًا.. هاتلاقيه في بنك القاهرة اللي في ميدان الجيزة.. روح استلمه واصرفه.

انتهى اللقاء وانصرف عبد العزيز مخيون، دون أن يعرف السبب الحقيقي وراء تغييره في الفيلم، هل بسبب رده على المخرج نور الدمرداش وإبداء رأيه وبعض الملاحظات أثناء التصوير.. ربما.. هل وجدوه أنه غير مناسب لطبيعة الدور بعد تصوير عدد من المشاهد؟ ممكن.. خاصة أن الشخصية التي كان يجسدها في الفيلم لراقص ومغنٍ، وهو التفسير الذي أقنع به عبد العزيز مخيون نفسه بأنه الأقرب إلى الصحة، خاصة بعد أن استعانت الشركة المنتجة بالفنان جلال عيسى، الذي انضم في العام ١٩٥٧ إلى فرقة رضا للفنون الشعبية، واكتشفه المخرج أحمد ضياء الدين، ومنحه الفرصة من خلال فيلم «المراهقات» عام ١٩٦٠، بمعنى أن اختيار الفرقة وقع على راقص سابق في فرقة رضا، ليكون أكثر ملائمة للدور، غير أن هذه التفسيرات، لم تُجب عن سؤال مهم يتردد بداخل عبد العزيز: إذا كان الأمر كذلك، لماذا كان اختياري من البداية؟

رغم عدم وجود إجابة عن هذا السؤال، أو عن سبب استغناء المخرج محمد فاضل عنه، ومنح البطولة لزميله نور الشريف، ثم طلبه مرة أخرى وإسناد دور ثانوي له، رغم ذلك كله، إلا أن مخيون قرر عدم الوقوف أمام هذه الأحداث الطارئة، ولا بد أن يكمل مشواره وينسى كل ذلك وينظر للأمام.

بعد نجاح رواية «ميرامار» للأديب الكبير نجيب محفوظ في السينما، التي كتب لها السيناريو والحوار ممدوح الليثي، وأخرجها كمال الشيخ في العام ١٩٦٩، قررت إدارة التمثيليات في التليفزيون، تقديم الرواية نفسها في شكل مسلسل، كتب له السيناريو والحوار سيد موسى، ومن إخراج إبراهيم عبد الجليل، ليكون المسلسل بمثابة أول بطولة تليفزيونية لعبد العزيز مخيون على مستوى الاحتراف، حيث كان العمل ضخمًا بإمكانيات التليفزيون خلال هذه الفترة، وقدم على هيئة خمس سهرات، كل سهرة ساعتان وربع الساعة، وجسد فيها شخصية «منصور باهي»، خلال سهرة من السهرات، وهي الشخصية التي جسدها عبد الرحيم علي في الفيلم، غير أنها أخذت مساحة كبيرة بالمسلسل بعكس وجودها في الفيلم، وشارك معه في بطولة العمل عزت العلايلي في دور «سرحان البحيري»، سميرة محسن في دور «زهرة»، صلاح منصور في شخصية «طلبة مرزوق»، أبو بكر عزت في دور «حسني علام»، زوزو ماضي في دور «صاحبة البنسيون»، سعد أردش في دور أستاذ «منصور باهي»، وحيد سيف في دور «المرسي أبو العباس»، وأستاذه عبد الرحيم الزرقاني في دور «عامر وجدي»، ورجاء الجداوي، وجسد دور والد رجاء الجداوي، الفنان عبد الفتاح غبن، والد هناء وانتصار عبد الفتاح، وغيرهم.

عقب أداء الخدمة العسكرية، وخروجه إلى الحياة المدنية، تم تعيين عبد العزيز ممثلًا في مسرح «الجيب» – الطليعة فيما بعد – غير أن أستاذه نبيل الألفي اختاره ليشارك في مسرحية يخرجها على مسرح الحكيم بشارع عماد الدين بعنوان «شمشون ودليلة»، تأليف معين بسيسو، أمام الفنان حمدي غيث، ونعيمة وصفي، وسهير البابلي، ورشوان توفيق، ليقدم فيها مخيون دور «الشهيد مازن»، الذي لفت الأنظار بأدائه للدور وسط مجموعة من نجوم المسرح، بعده اختاره عبد الرحيم الزرقاني ليشارك في مسرحية «المشخصاتية»، التي يخرجها لمسرح «الجيب»، من تأليف عبد الله الطوخي، أشعار زكي عمر، أمام سهير المرشدي، وأحمد عبد الحليم، وفاروق يوسف، ومحمود القلعاوي، والمطرب والملحن محمد نوح، كما عمل بعدها مسرحية «مهرجان الضحك والبكاء»، تأليف السيد الشوربجي، وإخراج سمير العصفوري، ثم مسرحية «مارا صاد»، تأليف بيتر فايس، وإخراج أحمد زكي، التي برع فيها مخيون بشكل كبير ولفت الأنظار، ونالت إعجاب الدكتور لويس عوض، للدرجة التي جعلته يحضر معه جهاز تسجيل إلى المسرح ويقوم بتسجيل مقاطع من المسرحية، وكل الأغاني التي تقدم فيها.

فنان يبحث عن ذاته

على الرغم من الدراسة الأكاديمية التي حصل عليها عبد العزيز، ومخالطة كبار المخرجين والكتاب والممثلين، والموسيقيين والصحفيين، وعلى الرغم من القراءات المتعددة والمتنوعة، والمشاهدات المتخصصة في أرقى وأرفع الفنون، إلا أنه مثلما ظل محتفظًا بالعديد من القيم والعادات والمثل العليا التي نشأ وتربى عليها، سواء في عائلته أو مجتمعه الريفي، ظل محتفظًا أيضًا بداخله بالكثير جدًا من خجل الإنسان الريفي البسيط، الشخصية المثالية التي تفترض حسن النية في كل ما يدور حولها، وتنتظر رد فعل مثاليًا يتناسب ما تشعر به، قرأ وتعلم معنى تواضع الفنان، كلما كثر علمه، وتمكن من فنه، ونسي أن البعض قد يفسر هذا التواضع على أنه ضعف في الشخصية، وتصريح صريح بتجاهله، وعدم وضعه في الحسبان، وتقديره بشكل لائق يتناسب مع فنه وعلمه وقامته الفنية، الأمر الذي أدى إلى عدم ظهوره بالشكل الذي يتناسب وموهبته الفنية الكبيرة، لا يعرف كيف يطلب حقه ويدافع عنه، كما لا يعرف كيف يقدم نفسه للآخرين، خاصة أن كثيرًا جدًا من العاملين في الوسط الفني، سواء شركات إنتاج أو مخرجين، بل وعدد كبير من الصحفيين، يركزون بشكل كبير على ما يصنعه بعض الفنانين حول أنفسهم من «هالة» وهمية من النجومية.

لم يكن ذلك كله بعيدًا عن تفكير عبد العزيز مخيون أو غائبًا عنه، بل يعيه جيدًا، ويعرف كل تفاصيله، ولا يخجل من أن يعلن تمسكه به وإصراره على مواصلة مشواره، وهو يحمل بداخله هذه القيم النبيلة والمثالية الزائدة على الحد، حتى لو كلفه ذلك ضياع الكثير من الفرص منه، ليجد ضالته في كتابة المقالات النقدية للعروض المسرحية في مجلة «روزاليوسف»، أو مجلة «الطليعة»، كما كتب لاحقًا في بعض المجلات العربية مثل «العربي، الدوحة»، وصحيفة «النهار»، ومن آنٍ لآخر في الأهرام، حتى إن الوسط الثقافي والفني بدأ يلتفت بالفعل إلى كتاباته، لدرجة أن كتب يومًا مقالًا في «الأهرام» عن «الرقابة»، فقام بالرد عليه في الجريدة نفسها، عبد الحميد الحديدي، رئيس الإذاعة المصرية آنذاك، ما ألقى بمسؤولية جديدة على عاتق عبد العزيز، حول أهمية «الكلمة»، فضلًا على أن ذلك جعله يندمج بشكل كبير في الوسط الصحفي الذي عوضه عن ضياع بعض الفرص كممثل.

لم تمر أسابيع قليلة على الضياع «القسري» لفرصة فيلم «موسيقى وجاسوسية وحب»، حتى فوجئ بالكاتب والمخرج محسن زايد، يطلبه للقيام ببطولة فيلم «فرح زهران»، من تأليفه وإخراجه، وشارك معه في بطولته إنعام الجريتلي وممدوح زايد، غير أن إنتاج الفيلم لم ينل حظه من الدعاية الكافية عند عرضه، فلم يحقق لعبد العزيز الهدف منه، ليعود إلى عمله

كممثل موظف في مسرح الطليعة، ليطلبه بعدها المخرج سعيد مرزوق للمشاركة أمام سيدة الشاشة العربية فاتن حمامة، في بطولة سهرة تليفزيونية بعنوان «أغنية الموت» من مسرح الكاتب توفيق الحكيم، وقام بإعدادها باللهجة الصعيدية الشاعر عبد الرحمن الأبنودي، ومدير التصوير عبد العزيز فهمي، ليجسد دور «علوان» الابن الذي تنتظره الأم «عساكر»، التي تجسدها فاتن حمامة، ليأخذ بثأر أبيه، غير أن «علوان» يرفض لأنه يكره العداء والثأر، فتأمر الأم أحد أقاربها ليقتل ولدها، ويعطيها إشارة قتله بأغنية.

قدم مخيون دوره ببراعة ونعومة شديدين، وظهر بشكل مميز أمام سيدة الشاشة العربية، ساعده في ذلك طبيعة دور كل منهما، هو ظهر بوجه طفولي ملائكي، وهي ظهرت بوجه جامد حاد الملامح، تعمد المخرج إظهارها بهذا الشكل عبر الماكياج والإضاءة، هو جاء محملًا بالحلم والعلم، وهي قابضة على الكراهية والدم، هو يتحدث عن النور، وهي تنبش في القبور، هو يتحدث عن الغد، وهي تتحدث عن القتل، هذه المتناقضات في شخصية الأم والابن، كانت وفق الأحداث في صالح الابن، الذي يروح ضحية الجهل والخرافات وعادات وتقاليد بالية، ما أسهم في اقتراب عبد العزيز من الجمهور، الذي بدأ يلتفت إلى هذا الممثل الشاب الذي يؤدي بوجه بريء يملأه الصدق.

هذه الخطوة الناجحة، حتى لو لم تستمر على شاشة التليفزيون أكثر من نصف ساعة، حققت أكثر من المطلوب منها، وأسهمت في تقديم الوجه الجديد للجمهور ولو لدقائق معدودة، الأمر الذي أشعر مخيون بسعادة بالغة، لم يتفوق عليها في إسعاده سوى خبر عبور قواتنا المسلحة قناة السويس، واقتحام خط بارليف، من خلال معركة الثأر والكرامة في السادس من أكتوبر، للدرجة التي جعلته يتمنى لو أنه كان لايزال مجندًا بالجيش ليشارك في هذا الانتصار العظيم، غير أنه كان لا بد أن يُشارك، مثلما تبارى الجميع في المشاركة من فنانين ممثلين ومخرجين ومطربين وموسيقيين، سواء بزيارة الجرحى في المستشفيات، أو التبرع بالدم، أو بسرعة إعداد الأغاني الوطنية الحماسية لتعبر عن هذه الحالة الوجدانية في لحظة فارقة من عمر الأمة، أو بإقامة الأمسيات الشعرية في مسارح الدولة، لإلقاء القصائد التي تبث روح الأمل وتحفز على الاستمرار لإعلان الانتصار.

شعر مخيون بأن روحًا جديدة ولدت بالمجتمع الذي عاش لسنوات يتجرع مرارة الانكسار، روح جديدة تبعث على الأمل في الغد، وأهمية أن يأتي مختلفًا عن الأمس، وحتمًا لا بد أن يكون للقوى الناعمة، التي يمثل أحد جنودها، دورٌ في صنع هذا الغد.

لم ينتظر أن يكون أداة فاعلة في التغيير، بل قرر أن يبدأ بنفسه ويقود حركة جديدة لتغير الغد، يبدأ من استغلال دوره كفنان تسلح بالعلم على أيدي كبار الأساتذة والمفكرين، سواء

بشكل مباشر أو غير مباشر، بل إن كتاباته في الصحافة، زادت من ثقافته وقراءاته، بل وعلاقاته أيضًا بكبار المثقفين والمفكرين والأدباء، حتى إن عمه النائب عبد العزيز مخيون، دعاه إلى مفاجأة لم يكن ليتوقعها، عندما زاره في شقته بالإسكندرية، فدعاه ليصحبه في زيارة لأحد الأصدقاء، لتكون المفاجأة أن هذا الصديق ما هو إلا الكاتب الكبير توفيق الحكيم.. الذي وجد مخيون في زيارته فرصة كبيرة للاقتراب من فكر هذا الكاتب الكبير.

كان النائب عبد العزيز مخيون محبًا للثقافة والمثقفين، يقرأ لهم ويستنير بآرائهم، كما يقرأ كل الصحف المصرية والعربية، حتى وقعت عيناه صدفة على خبر في إحدى الصحف اللبنانية، بأن الكاتب مصطفى أمين، تدهورت حالته الصحية أثناء وجوده في السجن، خلال فترة العقوبة التي يقضيها، وتم نقله إلى مستشفى «قصر العيني»، فتبدلت ملامح وجهه، وطوى الصحيفة ونظر إلى ابن أخيه عبد العزيز ثم قال له:

= اسمع يا عبد العزيز.. أنا عايز ابعتك في مشوار لحد مصر.

* أوي يا عمي تحت أمرك.

= طبعًا أنت بقيت عارف دلوقت مصر حتة حتة.

* آه طبعًا الحمد لله بشكل كبير.

= أنا عايزك تروح القصر العيني.

* تقصد مستشفى قصر العيني.

= أيوه.. مستشفى قصر العيني عارفها؟

* طبعًا عارفها كويس.

= طب عال.. هاديلك جواب.. وهاتروح تسأل عن العنبر اللي نازل فيه الأستاذ مصطفى أمين.

* الأستاذ مصطفى أمين الكاتب الصحفي.

= أيوه هو فيه غيره.

* أيوه يا عمي بس الأستاذ مصطفى في السجن.

= لا يا سيدي أنا لسه قاري خبر دلوقت إن حالته الصحية تعبت وهو في السجن.. ونقلوه مستشفى قصر العيني.. هاتاخد القطر ومن المحطة على المستشفى عدل.. هاتسلمه الجواب.. ولو قالك استنى خد رد.. انتظر.

كتب النائب عبد العزيز الخطاب، وسلمه لابن أخيه، الذي توجه من فوره إلى القاهرة، ومن محطة مصر إلى مستشفى قصر العيني، ليسأل عن عنبر الكاتب الصحفي مصطفى أمين، ولم يكن بالتأكيد مكان وجوده خافيًا على من هم بالمستشفى، غير أن الوصول إليه لم يكن سهلًا، حيث وضع في العنبر رقم «١٩» تحت حراسة من إدارة السجن، وبعد محاولات مضنية، وافق عسكري الحراسة على أن يعطيه الخطاب وينصرف.

كان الكاتب مصطفى أمين يتناول غداءه، ومن إن فرغ وأخبره العسكري، حتى سمح لعبد العزيز بالدخول، وقام بتقديم نفسه له، والمهمة التي جاء من أجلها لتوصيل الخطاب، وقبل أن يهم بالانصراف استوقفه مصطفى أمين لحين قراءة الخطاب، وما إذا كان هناك ردٌ سيكتبه، غير أنه قرأ الخطاب وهو في حالة من الدهشة وعلامات التعجب لا تفارق وجهه، لأن هناك صديقًا قديمًا لايزال يتذكره، ويؤازره في هذه المحنة الصعبة، التي تخلى فيها عنه الكثيرون، وما إن فرغ من قراءة الخطاب، حتى ناول عبد العزيز ورقة صغيرة:

= أنت قلت لي اسمك إيه؟

* عبد العزيز مخيون يا فندم.

= الله نفس اسم عبد العزيز بيه.

* ما هو يبقى عمي أخو والدي.

= ناس أصيلة ومحترم.. أشكر لي عمك جدًا وقوله مشاعره الجميلة وصلت.. لكن أنا مش هاقدر أقبل الشيك ده.. لأني مش في حاجة إليه على الإطلاق.. وبلغه تحياتي.. وأني مؤكد لو عوزت أي حاجة هايكون هو أول واحد ابعتله.. أشكرهولي جدًا.. وباشكرك أنت كمان يا ابني.

كانت الورقة الصغيرة عبارة عن شيك مقبول الدفع لحامله بقيمة خمسمائة جنيه مصري، وهو مبلغ ضخم خلال هذه الفترة، رفض مصطفى أمين أن يأخذه، لأنه لم يكن في حاجة إليه، ليجد عبد العزيز في يده شيكًا بمبلغ خرافي لأي شاب يمكن أن يقع في يده خلال هذه الفترة، وما إن علم بعض أصدقاء السوء بما في يد عبد العزيز، حتى راح بعضهم يلح عليه في صرف الشيك، على اعتبار أنه لحامله، ولن يعرف عمه بالأمر، وفي الوقت نفسه مصطفى أمين في السجن، ولن يخبر عمه بأنه لم يصله الشيك، فكاد عبد العزيز يركن لرغبة أصدقاء السوء ويصرف الشيك، غير أن أخلاقه وتربيته منعاه من هذا التصرف الأحمق، الذي كان يمكن أن يظل وصمة في جبينه، وقرر إعادة الشيك إلى عمه، ولم تمر سوى أيام قليلة، حتى أصدر الرئيس السادات قراره بالإفراج الصحي عن مصطفى أمين في ٢٧ يناير ١٩٧٤.

اعتاد عبد العزيز مخيون على أن يتابع كل ما هو جديد في الثقافة والفكر والفن، ولفت نظره سلسلة من المقالات يكتبها كل من الدكتور يوسف إدريس، ومقالات للدكتور علي الراعي، بالإضافة إلى كتبه السابقة في القضية نفسها، فراح كل منهما يكتب في اتجاه البحث عن هوية مسرح مصري وعربي، حيث يؤكد يوسف إدريس، أنه كما لكل شعب لغته وفنونه الخاصة، فإنه أيضًا له شكله الخاص من المسرح، خاصة أن المسرح مثل بقية الفنون، لا يوجد شكل خاص أو ثبات، بعكس العلم الذي يكون ثابتًا بنظرياته على مستوى العالم، لكن الفنون تتلون بلون الدولة التي تقدم فيها، لذا فمن المؤكد أن ما يصلح لأن يقدم في أوروبا، ليس بالضرورة يصلح لأن يقدم في العالم العربي، وحتى نصل إلى شكل المسرح الخاص بنا، فإن هذا يحتاج إلى عمل دءوب وشاق، نبحث فيه عن مسرحنا، وعن شكلنا المسرحي المستمد من بيئتنا وتاريخ وجداننا، من تراثنا وبيئتنا، خاصة في تلك التقاليد الأدائية التي ينسى فيها كل فرد ذاته ويندمج في الذات الجمعية الكبرى، مثل السامر وحفلات «الذكر والأراجوز وخيال الظل»، بل حتى الجلوس على المقاهي، ذلك كله يمكن اعتباره نواة حقيقية لمسرح مصري ينحاز إلى المواطن العادي البسيط، الذي تدور حوله كل القصص والحكايات، والذي رغم القيود الاجتماعية المفروضة عليه، والقضبان الفكرية التي تسجنه، إلا أنه يتمتع بخفة الدم، وروح المرح، والإحساس الساخر بالأشياء، فضلًا على «الفهلوة» وتوليفة متناقضة تمزج الشجاعة بالجبن والبطولة بالخوف والخنوع، والذي يمكن أن يخدع الآخرين ببساطة ظاهرة، ربما تجعل منه نموذجًا خاصًا من البشر.

أيضًا تأثر مخيون بكتابات الدكتور علي الراعي، حول هوية المسرح العربي، وتحديدًا كتاب «المسرح في الوطن العربي» الذي يعد أول محاولة توثيقية للمسرح العربي في مجمله، تناول فيه البداية الحقيقية للمسرح العربي على يد مارون النقاش، كما تناول ظهور المسرح العربي في سوريا على يد أحمد أبو خليل القباني، وبداية المسرح العربي في مصر في نفس الفترة على يد يعقوب صنوع، الذي قدم أول مسرحية على مقهى الأزبكية، ولقب بموليير مصر، كما قرأ مخيون أيضًا للراعي كتاب «الكوميديا المرتجلة في المسرح المصري»، الذي صدر في العام ١٩٦٨، وكتاب «فنون الكوميديا من خيال الظل إلى نجيب الريحاني»، الذي أصدره في العام ١٩٧١، حيث تناول الراعي مسيرة مسرح الارتجال وفنون الملهاة، وفي هذه الكتب تجسدت رؤية الراعي في العودة إلى الأشكال والصياغات والأساليب الأولى للمسرح في مصر، وأعاد اكتشاف البدايات.

طالب الراعي أيضا بهدم فكرة المؤلف الأوحد والاعتماد على المسرح الحي، قاصدًا بذلك أن يشارك في العرض جميع العاملين به، مدافعًا عن حق المبدع في أن يرتجل، لأننا نملك مادة

نستطيع أن نقدم من خلالها مسرحًا عربيًا كاملًا، وهو ما قرر عبد العزيز مخيون القيام به، من خلال تجربة حية يقوم بها في قلب قريته، في عمق الريف المصري.

تأثر عبد العزيز مخيون كثيرًا بمقالات الدكتور يوسف إدريس، ومقالات الدكتور علي الراعي في مجلة «الكاتب»، فقرر في العام ١٩٧٣، النزول إلى القرية لممارسة المسرح على أرض الواقع مع الفلاحين والطلبة والعمال، في محاوله لتطبيق أو اكتشاف شكل مسرحي جديد، خارج إطار دور العرض الإيطالية الطراز في المدن، وكانت البداية من خلال «زكي أفندي»، القريبة من مسقط رأسه بمحافظة البحيرة، التي لم تعرف التيار الكهربائي بعد، التي يلفها الظلام مع مغيب الشمس، غير أنها تطل على العالم الخارجي، من خلال الإذاعة، بعد أن دخل «الراديو» القرية مطلع الستينيات من القرن العشرين، ما جعل هذا المجتمع يدين بانتمائه إلى القرن التاسع عشر، أكثر من انتمائه إلى نهايات القرن العشرين، ليواجه قدرًا كبيرًا من سخط الفلاحين الدفين لـ»أفندية البندر»، الذين أصبح مخيون أحدهم، محاولًا تغيير هذه الصورة وتلك المفاهيم، عبر الاقتراب منهم والذوبان بينهم، وهو ما نجح فيه بالفعل إلى حد بعيد، قبل أن يبدأ في تقديم تجربته، في مهمة لم تكن سهلة، سواء بالنسبة له، أو بالنسبة لفلاحي القرية، بل ولصاحب الحديقة التي سيقدمون فيها تجربتهم المسرحية، التي وصفها صاحب الحديقة بـ»المسخرة»!

ربما لم تعرف القرية فن الدراما بشكله المتعارف عليه، غير أنها عرفت ألوانًا أخرى من الدراما بعيدة عن المسميات العلمية، عرفت الاحتفالات في الأفراح والموالد الدينية وليالي الحصاد والمناسبات السعيدة، التي يدعون خلال المنشدين الذين يقدمون القصص المغناة، كما عرفوا ما يطلق عليه مسرح «السامر»، عبر فرق جوالة تأتي من المدن لتقديم عروضهم وسط حلقة من الجمهور، ما بين حكايات مجسدة تقوم على فكرة «الباشا والخادمة والفلاح»، وحب «الفلاح للخادمة»، والذي ينتهي بزواجهما بشكل ساخر، دون التطرق لفكرة الصراع الدائر حول اغتصاب الأرض والعرض، أو تقديم نماذج كاريكاتيرية في التقليد أو ارتجال حوار مع الجمهور، بالإضافة إلى وصلات الرقص والغناء، غير أن هذه الفئة لم تنل يومًا احترام أهل القرية، بعكس «الصييت» أو المنشد الذي يتغنى بالمدائح والحكايات الدينية، غير أنهم لم يعرفوا المسرح بمفهومه الحقيقي، ومضمونه الهادف، وهو ما حاول أن يفعله مخيون، ليس لهم، لكن بهم.

لم تكن التجربة سهلة، بل صادفتها عراقيل عدة، بداية من إقناع الفلاحين بخوض التجربة، واختيار مكان العرض وموافقة مالك الحديقة، وليس انتهاءً بعراقيل بيروقراطية وروتين موظفي الثقافة الجماهيرية آنذاك، الذين أصروا على أن تكون التجربة من خلال نص

مسرحي جاهز، وليس كما يريد عبد العزيز، خلق حالة ارتجالية من هموم ومشاكل الفلاحين، فلم يكن أمامه سوى اختيار مسرحية «الصفقة»، التي تدور أحداثها في ساحة قرية صغيرة، لتتحدث عن ارتباط الفلاح بالأرض وصراعه ضد الإقطاع، مهما كلفه ذلك، من خلال صفقة يخوضها فلاحو القرية لشراء قطعة أرض أرادت إحدى الشركات الأجنبية بيعها، فتكاتف الفلاحون لجمع المال اللازم لشراء الأرض، غير أنه يظهر إقطاعي ينافسهم عليها، فيحاولون رشوته للابتعاد عن الصفقة، فيساومهم على أعز ما يملكون، إذ طلب فتاة جميلة من فتيات القرية لتعمل خادمة لابنه الصغير، فيوافق أهل القرية، وتوافق الفتاة وهي واثقة من نفسها ومن قدرتها وحيلتها، حيث ما إن دخلت قصر الإقطاعي حتى ادعت بإصابتها بالكوليرا، لتنجح الحيلة ويطردها الإقطاعي، ليتبقى السؤال الأهم: ما الذي يمنع الإقطاعي من العودة إلى حيلة مجددًا لسرقة الأرض؟ فضلًا على أن موقف الفلاحين في هذا الصراع يتسم بالسذاجة والذلة والضعف، وهو ما رفضه عبد العزيز مخيون، فقام بإلغاء الفصل الثالث من المسرحية، وعمل إعداد جديد، ليكون محورها هو مشاكل الفلاحين الحقيقية، نابعة من أرض الواقع، وكما يراها هم بأنفسهم، يقولون حوارها بعباراتهم الممزوجة بطين الأرض، بعيدًا عن عبارات المثقفين وشعاراتهم، لدرجة أنه أطلق على المسرحية اسم «صفقة توفيق الحكيم.. كما يراها فلاحو قرية «زكي أفندي»، وهو ما نجح فيه بالفعل، وأتت التجربة ثمارها، وإن كانت مجهدة إلى حد كبير في الترتيب والتدريب، والإخراج بالشكل الذي يمكن أن يرضى عنه.

بعد الانتهاء من تقديم «الصفقة»، لم يغادر مخيون القرية، وحرص على أن يبقى بين الفلاحين، في محاولة لخلق نص جماعي بينه وبين الفلاحين وشباب القرية، من واقع حال القرية عن عملية توزيع «الدقيق» على السيدات الحوامل، المرسل لهن من منظمة «اليونسيف»، ويقوم بعض الموظفين بسرقته، وخرج العمل بشكل مبدع وقدم شباب أهل القرية نموذجًا مبهرًا في الأداء والارتجال، وبعدها قدم مسرحية أخرى عن الانتخابات المحلية في القرية، ليقدم إنجازًا مسرحيًا من أرض الواقع غير مسبوق، كما لم يأتِ بعده من أضاف عليه أو طوره، وإن كان مخيون تمنى لو أنه قام بذلك، لولا العراقيل العديدة التي وقفت في طريق ذلك، ولم يكن لديه مانع من استكمال المشوار، على الرغم مما سببته له هذه التجربة من خسائر كثيرة على المستوى الشخصي، والتأخر في مشوار احترافه الفني عن بقية أقرانه من فناني المرحلة.

حرص مخيون على أن يوثق لتجربته في مسرح الفلاحين بكتاب يحمل عنوان «يوميات مخرج مسرحي في قرية مصرية»، بهدف تسجيل «يوميات العمل» مع الفلاحين، ويبدو أنه كتب ذلك متأثرًا بكتاب الكاتب الكبير توفيق الحكيم «يوميات نائب في الأرياف»، للتأكيد

على عملية مهمة جدًا، وإظهار جانب مهم لدى الممثل، الذي لا بد أن يتسلح بشكل قوي بالعلم والثقافة، ليس بغرض الرفاهية و»المنظرة» بل إن الثقافة بكل فروعها تُعطي زخمًا غير طبيعي للفنان، وتلهب حماسه وتزيد من مساحة الخيال والإبداع، وإنتاج خيال موازٍ للمكتوب، انطلاقًا من تجربة القارئ في تخيل الأوضاع الفكرية في نص من مكان وزمن محددين، ليستلهم في تجربته التي دوّنها بتفاصيل مبدعة، شخصية «الحكيم» في يومياته، لطرح العديد من التساؤلات البحثية ومحاولة البحث عن إجابات لها، لتكتمل التجربة بتدوينها، وربما الإضافة لها من الاستمرار في حياته الفنية المستمرة بعطائها.

عاد مخيون إلى القاهرة، ليواصل رحلة احتراف الفن، فتعاقد على المشاركة في بطولة مسلسل «ليالي الحصاد»، المأخوذ عن مسرحية بالاسم نفسه للكاتب محمود دياب، ومن إخراج علوية زكي، وكان من المفترض أن يتم تصوير المسلسل في «دبي»، وأبلغ الإنتاج عبد العزيز، أن السفر إلى دبي سيكون يوم ٢٣ يونيو عام ١٩٧٥، أي سيكون الموعد بعد ما يقرب من أربعة أشهر، فكان هناك متسع من الوقت لأن يقبل العمل مع صديقه وزميل دفعته في المعهد العالي للسينما، المخرج علي بدرخان، الذي طلبه ليشارك في بطولة فيلم «الكرنك»، المأخوذ عن رواية الأديب الكبير نجيب محفوظ، سيناريو وحوار ممدوح الليثي، أمام سعاد حسني، وزميل دراسته نور الشريف، وفريد شوقي، وتحية كاريوكا، ومحمد صبحي، وآخرين، ليجسد فيه مخيون دور «الشاعر»، الذي يلقي بأشعاره الثورية وسط مجموعة الأصدقاء على مقهى «الكرنك»، وبعدها يتم اعتقاله وتعذيبه، أي مساحة كبيرة ومهمة ضمن شخصيات الفيلم، غير أن عدم الالتزام من جهة الإنتاج أطاح بالدور، ليصبح مجرد «لقطة» واحدة في الفيلم.

الباب الثالث...

الثقافة قبل الفن.. دائماً

محترف في باريس

رغم المستوى العلمي الذي ناله عبد العزيز خلال دراسته الأكاديمية، وكل التجارب التي خاضها كفنان محترف، والثقافة التي لا يمل من تعاطيها بمختلف أشكالها وفروعها، إلا أن إحساسًا بوجود شيء ما ينقصه، ظل مسيطرًا عليه، بأهمية وضرورة دراسة المسرح في أوروبا مثل أساتذته، بعد أن عرف أن كلًا من حمدي غيث ونبيل الألفي وفتوح نشاطي درسوا المسرح في فرنسا، وسعد أردش وكرم مطاوع درسا المسرح في إيطاليا، وغيرهم كثيرون، فقرر أن يسافر إلى أوروبا لدراسة المسرح والتمثيل والإخراج، وحاول أن يكون ذلك من خلال بعثة عبر وزارة الثقافة، غير أنه لم يجد التعامل مع الموظفين وتحقيق ذلك وسط إجراءات روتينية معقدة وعديدة، حالت دون ذلك، فخطر له أن يسافر للتعلم في فرنسا، فبدأ بتعلم اللغة الفرنسية، خاصة بعد زواجه من الصحفية والناقدة والفنانة منحة البطراوي، التي تعمل بصحيفة «الأهرام»، والتي تتمتع بثقافة فرنسية وتجيد التحدث باللغة بشكل جيد، ما كان سببًا في تشجيعه على حب الفرنسية ومحاولة إتقانها، فالتحق بمعهد Alliance française أو «التحالف الفرنسي»، تمهيدًا للبحث عن فرصة لدراسة التمثيل والمسرح في فرنسا.

أثناء العمل مع الفلاحين في مسرح القرية، تعرف على مراسل صحيفة «لوموند» الفرنسية بالقاهرة، فوجه إليه الدعوة لمشاهدة هذه التجربة، ورغم صعوبة الوصول إلى القرية، إلا أنه أصر على الحضور ومشاهدة التجربة، وكتب عنها بشكل تفصيلي، كتجربة فريدة للمسرح في الريف المصري، تم فيها استخدام كل عناصر البيئة، وكتب مقالًا كبيرًا بعنوان:

Comment s,exprime les paysans du Nil ?

أو «كيف يعبّرفلاحوالنيل عن أنفسهم»، هذاالمقال الذي نُشر في صحيفة «لوموند» أسهم في تعزيز موقف عبد العزيز في الحصول على منحة دراسية لفرنسا، لدراسة المسرح، بالإضافة إلى ذلك، كان هناك مخرج وممثل وشاعر وموسيقي فرنسي يُدعى «أنطوان فيتز»، الذي شغل لفترة منصب عميد معهد الكونسرفتوار، كما عمل أستاذًا في المعهد الوطني للدراماتيك والفنون في عام ١٩٦٨، وفي العام ١٩٧٢ أسس ورشة مسرحية باسم Ateliers d›Ivry، في أحد أحياء باريس العمالية، بهدف دمج الهواة والمحترفين لتبادل ممارسات مسرحية مشتركة، وصادف أن قرأ ما كُتب عن تجربة مخيون، وما كُتب عنه كممثل ومخرج مصري، وأدرك أهمية ما يقوم به، فكتب تقريرًا مفصلًا بخط يده حول مخيون وتجربته، وأرسله إلى وزارة الثقافة الفرنسية، التي قررت منح عبد العزيز منحة لدراسة المسرح في فرنسا.

حصل مخيون على المنحة من وزارة الثقافة الفرنسية، لعمل دراسات عليا متخصصة في فرنسا، على نفقة الحكومة الفرنسية، التي قررت منحه ألف ومئتي فرانك شهريًا، إلى

جانب العيش في المدينة الجامعية، لينطلق عبد العزيز ينهل من العلم، حيث كان يدرس لغة وحضارة فرنسية في جامعة باريس الثالثة، إلى أن التقى واحدة من أساتذته في الجامعة، أستاذة تقوم بتدريس علم Sémiologie أو «السميولوجيا» ومعناه علم الدلالات، وهو علم يعني بالسلوك الإنساني، بل اعتبره البعض مذهبًا فكريًا، فاهتم عبد العزيز بأن يحضر لهذه الأستاذة، وبعد عدة محاضرات كان من المفترض أن يلتقي بها ليعرض عليها ما يقوم به من دراسات تطلبها، فأخذت منه الدراسة وقرأتها بتمعن ثم التفتت إليه قائلة:

= مسيو مخيون هذه مقالة جيدة جدًا تنشر في مجلة متخصصة عن المسرح.. لكنها لا تعبّر عن شغلنا.. أو ما أريده.

* حضرتك تقصدي إيه؟

= أقصد أن الشغل الأكاديمي يختلف عن كتابة المقالات.

* فهمت.. وأنا ممكن أعدل ده.

= مسيو مخيون.. سيرتك تقول إنك مخرج ممثل أكاديمي.

* بالفعل ده حقيقي.

= جميل جدًا.. لماذا تريد دراسات نظرية إذن.. وتحصل على ماجستيرودكتوراه؟

* وإيه المشكلة؟

= المشكلة إنك ممكن تكون مبدع في مجالك كثيرًا.. لماذا تعطل موهبتك بالدراسات النظرية.. طالما أنك لن تعمل بسلك التدريس الأكاديمي؟

* فعلًا ما تقولينه هو ما أبحث عنه.. أريد أن أكون مخرجًا وممثلًا.

= أنا فهمت.. أنت تريد إذن غطاء من أجل الإقامة والاستمرار.. سأعطي لك خطابًا يفيد ذلك.. و»بطاقة» يمكنك بها الدخول إلى المكتبة القومية، وتظل في الوقت نفسه طالبًا في الجامعة.

* أشكرك جدًا هذا ما أريده بالفعل.

= بالطبع.. من المفروض ألا تقضي وقتك داخل قاعات الجامعة.. لكن في المسارح.. تحضر عملية خلق الإبداع المسرحي، من خلال بروفات وتدريبات الممثلين.

لم يضيع مخيون وقته، وخرج من هذه المقابلة، وراح يبحث عن «أنطوان فيتز»، وبدأ يحضر بروفاته مع الهواة وبعض المحترفين، يحضر بروفات «بيتربروك»، أثناء عمله في باريس، ويحضر

عروض الفرق المسرحية المختلفة، ثم يقرأ في صحف اليوم التالي نقدًا وتحليلًا للعروض التي شاهدها، كما راح يحضر المهرجانات المسرحية المختلفة، مهرجان الشتاء المسرحي، ومهرجان الخريف، مهرجان «أفينيو»، والندوات، وشاهد أحد عروض «بيتربروك»، التي قدمها في أحد الأديرة القديمة خلال مهرجان «أفينيو»، ثم قدم العرض نفسه في الشتاء في باريس، بأسلوب آخر مختلف تمامًا، الأمر الذي زاد من حصيلة مخيون الفنية ومخزونه الفني.

كتب أيضًا عبد العزيز في مجلة «٢٣ يوليو»، التي تصدر في باريس، وهي جريدة معارضة للنظام السياسي في مصر آنذاك، ويرأس تحريرها الكاتب الساخر محمود السعدني، غير أن مخيون كتب في الجريدة تحت اسم مستعار «فايز عبد المجيد»، كما كتب في مجلة «اليسار العربي»، التي يشرف عليها ميشيل كامل وأديب ديمتري، كما بدأ في تغطية النشاط المسرحي في فرنسا، ومقالات نقدية عن المسرحيات التي يشاهدها، وينشرها في جريدة «النهار العربي» النسخة الدولية، بعد الاتفاق مع الكاتب المسرحي اللبناني عصام محفوظ، الذي انتقل للعيش في باريس، خلال الحرب الأهلية اللبنانية، وأصدر الجريدة من باريس، والذي رحب ترحابًا كبيرًا بكتابات مخيون لتميزها، على الرغم من أن العائد المادي، من الكتابة لم يكن مجزيًا، إلا أنه يساعد إلى جانب مبلغ الـ١٢٠٠ فرنك، التي تمنحها له الجامعة الفرنسية.

في ظل هذه الظروف الصعبة، والحياة التي تسير بالكاد، بسبب الضعف الشديد لدخل عبد العزيز مخيون، فوجئ بمخرجة تدعي «إيدنا بوليت»، تعرض عليه العمل معها، بعد أن عرفت أنه ممثل مصري، ليقوم ببطولة فيلم بعنوان «كما البحر وأمواجه» ستتولى إخراجه، فأبدى موافقة مبدئية، لحين قراءة العمل، غير أنه ما إن بدأ في قراءة السيناريو، حتى اكتشف أنه يتناول قضية الصراع العربي- الإسرائيلي وهناك دعوة مستترة بالفيلم، لتطبيع العرب مع إسرائيل.

قبل أن يتناقش عبد العزيز مخيون في تفاصيل الفيلم وموضوعه مع مخرجته إيدنا بوليت، أخذ نسخة السيناريو وتوجه إلى مندوب منظمة التحرير الفلسطينية في باريس، وطلب منه قراءة الفيلم وإبداء رأيه فيه، لأن لديه شكوكًا ويريد أن يتبين حقيقة موضوع الفيلم، وهل شكوكه في محلها أم لا؟، وبعد يوم وليلة، كان مندوب منظمة التحرير الفلسطينية قد انتهى من قراءة الفيلم، وطلب مقابلة مخيون:

= أستاذ مخيون كل شكوك في محلها.. الفيلم دعوة صريحة للتطبيع مع العدو الصهيوني.

* يعني أنا ظني طلع في محله.

= بالتأكيد دون لبس.. هذه رواية صهيونية ملتفة مثل ألاعيبهم.

* طيب كويس جدًا.. أنا سعيد بأن شكوكي أتأكدت من خلال كلامك.

= أستاذ مخيون.. أنا قلت رأيي بصراحة.. ومالي أتدخل في عملك.. أنت فنان مصري حر.. يمكن أن تختار ما بدك إياه.. لكن كان لا بد أن أقول لك رأيي بصراحة.

* وأنا لو ماكنتش القضية تهمني زيك.. ماكنتش جيت لحد عندك وطلبت رأيك في الفيلم.

تأكد مخيون من شكوكه، وعزم على رفض الفيلم، بل زاد من عزيمته ورفضه، أن اكتشف أن المخرجة ليست لبنانية، بل يهودية من يهود لبنان، ثم هاجرت بعد ذلك إلى دولة الكيان الصهيوني، وأصبحت مخرجة ومنتجة إسرائيلية، تدعم الكيان الصهيوني، فرفض مخيون الفيلم رفضًا قاطعًا، رغم الإغراءات التي قدمتها له المخرجة الإسرائيلية، ووعدوه بتوفير كل سبل الراحة والرفاهية، والحجز له في فندق خمس نجوم على البحر المتوسط في الجنوب الفرنسي، بالقرب من أماكن التصوير، مع أجر لم يكن يحلم به كبار النجوم المصريين خلال هذه الفترة، في الوقت الذي لا يملك فيه مخيون سوى راتب المنحة، الذي لا يتجاوز ١٢٠٠ فرنك، التي لا تكفي لاستكمال بقية الشهر معه.

لم يكن إيمان عبد العزيز مخيون بقضيته العربية ورؤيته ومبادئه السياسية، هو ما يدفعه لرفض هذه النوعية من الأعمال، مهما كانت الإغراءات، بل أيضا لإيمانه بنفسه كممثل له قيم ومبادئ يعرف قيمة الممثل ودوره في المجتمع، يحرص كل الحرص على أن يحافظ عليها، وألا يقدم تنازلًا عنها مهما كانت احتياجاته المادية، وهو في غربة بعيدًا عن وطنه، ينتظر الفرنكات القليلة كل شهر، ليكمل مسيرته ويحقق هدفه، ففي ظل هذه الظروف المادية والفنية الصعبة، بعدم وجود دخل شهري يكفي احتياجاته، وفي الوقت نفسه، بعيدًا عن الوقوف على خشبة المسرح كممثل، عرض عليه المشاركة في عمل مسرحي ضخم، مدعوم من اليونسكو بعنوان «جلجامش»، يقوم بإخراجه «فيكتور جارسيا»، وهو مخرج من أصل أرجنتيني يعيش في فرنسا، وسيخرج المسرحية على مسرح «شايو»، الذي يقع ضمن ساحة قصر «شايو» بالقرب من برج إيفل وحدائق تروكاديرو، وهو من بين أكبر قاعات الحفلات الموسيقية في باريس، وطلب المخرج من إدارة الإنتاج بالمسرح، توفير بعض الممثلين من أصول عربية للاستعانة بهم في المسرحية، فتم ترشيح عبد العزيز، لعلاقاته بأغلب دوائر المسرح في باريس، باعتباره يتردد عليها بشكل دائم، سواء كباحث أو كناقد.

قرأ عبد العزيز المسرحية، وقام بتدوين بعض الملاحظات، واتجه بها للمخرج لمناقشتها قبل البدء في البروفات، فوجده لا يريد مناقشات من أي من الممثلين، سواء من يقدمون أدوارًا

صغيرة، أو حتى من أبطال المسرحية، لا أحد يسأل ولا يستفسر، ينفذ ما يُطلب منه فقط، بمعنى أنه يريد أدوات أو دوميًا يحركها كيفما شاء على خشبة المسرح، يريد أن يقدم عملًا يمزج فيه بين الإنسان والآلة، فرفض كل محاولات الاستفسار أو الأسئلة، فضلًا على غيابه عن الوعي أغلب الأوقات بسبب إدمانه الشديد للكحول، فما كان من مخيون إلا أن اعتذر عن عدم المشاركة في المسرحية، رغم الأجر الكبير الذي كان سيحصل عليه نظير مشاركته في هذا العمل الضخم، والذي استعان فيه المخرج بعدد من المصريين الموجودين في باريس، الذين لا علاقة لهم بالتمثيل، سواء الراقصين أو المطربين غير المعروفين، الذين يعملون في الملاهي الليلية في باريس، ليحضر عبد العزيز بعدها العرض، لكن بصفته النقدية، ويكتب عنه في صحيفة «الإحياء العربي»، التي يصدرها رئيس الوزراء الأسبق خلال فترة الوحدة بين مصر وسوريا، السوري صلاح الدين البيطار، الذي يعيش في باريس، والذي تم اغتياله فيما بعد أمام باب جريدته!

واصل مخيون رحلته في باريس، معتمدًا بشكل كبير على عمله في الصحافة، غير أنه في الوقت نفسه لم ينفصل عن وطنه مصر، حتى عرف بخبر رحيل صديقه المقرب الشاعر والمخرج الكبير نجيب سرور، بعد رحلة شقاء مع الفن، وصراع مع المرض، فقرر أن يقوم بكتابة الحوار الذي أجراه معه خلال الفترة التي رافقه فيها في القاهرة، وعيش نجيب معه لفترة طويلة في شقة «شامبليون»، فكتب حوارًا طويلًا ونُشر في جريدة «النهار العربي».

لم تتوقف كتابات مخيون المسرحية على المقالات النقدية، بل إنه وجد متنفسًا آخر من خلال إجراء بعض الحوارات الصحفية، سواء مع مسرحيين أو مثقفين مصريين وعرب، سواء تلك التي أجراها في القاهرة قبل الانتقال إلى باريس، مثل الحديث الكبير الذي أجراه مع شيخ البنائين حسن فتحي، حول نظرياته المعمارية، ورؤيته في البحث عن هوية للعمارة المصرية الحديثة، كذلك لم يمرر مخيون فرصة التقاء الكاتب والمفكر الكبير الدكتور لويس عوض في باريس، الذي اعتاد السفر إلى لندن بتمويل من مؤسسة «الأهرام»، فيما يسمى بـ»الرحلة الثقافية» للكتابة هناك، وبعدها يمر على باريس في طريق عودته إلى القاهرة، للالتقاء ببعض الكتاب والمثقفين المصريين العرب والمصريين المقيمين في باريس، فكان مخيون يستغل فرصة وجوده في باريس، ويبقى معه كظله طوال فترة الإقامة في باريس، في كل حركاته وتنقلاته، في أماكن بيع الكتب الجديدة في المكتبات، أو الكتب القديمة على بعض الأرصفة المخصصة لذلك، والجلوس على المقهى المقابل للفندق الذي قضى فيه «شهر العسل» بعد زواجه، بل إنه حرص على أن يصحب مخيون معه، خلال المقابلات الشخصية التي يجريها مع بعض

المثقفين المصريين أو العرب، مثل عالم البيئة الدكتور عبد الفتاح القصاص، والكاتب الكبير غالي شكري وغيرهما، وبدوره حاول عبد العزيز الاستفادة – قدر الإمكان – من فكر وثقافة هذا المفكر الكبير، حتى إنه يبدأ به اليوم، وينتهي معه، وفي منتصف النهار، وبعد الانتهاء من وجبة الغداء، يبادره الدكتور لويس:

= شوف بقى يا سي مخيون هاتحجزلنا في أي مسرح النهارده؟

* العروض كتيرة ومتنوعة.. اللي حضرتك تحب تشوفه إيه؟

= أنت عارف أنتوا عندكم هنا في باريس «وليمة لا تنتهي» من كافة الفنون والثقافة وكل مظاهر الحضارة والفن والإبداع

* علشان كده الاختيار صعب.. وبقول لحضرتك تحب تشوف إيه؟

= أسمع بقى.. أنا مش عايز حاجة من الحاجات بتاعتكم دي.. بتاعة اليومين دول.

* حاجات إيه دي بتاعة اليومين دول؟

= من المسرح اللي بتقولوا عليه تجريبي والشغل الجديد اللي بيعملوه ده.

* حضرتك مابتحبش شغل المسرح الجديد؟

= أنا مش ضد الجديد ولا التجريب.. لكن ماينفعش أبقى في باريس وماشوف كلاسيكيات المسرح الفرنسي.. أنا عايز أشوف مسرحية.. لها نص مكتوب بيتباع على باب المسرح وأنا داخل.. ولو في أسطوانة ولا حاجة للموسيقى أشتريها.. علشان أتفرج وأقرأ وأسمع.

شعر عبد العزيز بأن الفرصة سانحة لمعرفة رأي الكاتب والمفكر لويس عوض ليس في المسرح فقط، بل في العديد من الأمور والقضايا الثقافية والفكرية بل والسياسية أيضًا، فقرر عمل حديث صحفي معه لجريدة «النهار العربي»، ولم يبخل الدكتور عوض عليه بحديث مطول، تحدث فيه عن كل شيء، واختتمه برأي سياسي فاجأ به عبد العزيز، حول صراع القوتين العظميين في العالم، أمريكا والاتحاد السوفيتي قائلًا:

= أوعي تصدق الخلاف الدائر ده بين أمريكا والاتحاد السوفيتي.. ومسألة صراع القوى والتسليح.. ده خلاف ظاهري.. الخلاف الحقيقي هو خلاف حضاري.

لم يكن وجود عبد العزيز مخيون في باريس، للعيش باعتباره أحد «صعاليك» الفن، يسهر ويمرح ويعيش حياة الانبهار، بل حرص على أن يستفيد من كل لحظة قضاها في بلد النور والفن، قرأ في المسرح وكتب، شاهد أساليب مختلفة في التمثيل والإخراج، شاهد كيفية البروفات واحترام المسرح، شاهد تمثيلًا مختلفًا لمدارس فرنسية وإنجليزية والعديد من دول

أوروبا ومختلف دول العالم، شاهد العديد من الفرق المسرحية الفرنسية، بل والعديد من الفرق المسرحية من جميع بلدان العالم، بما فيها المسرح الياباني، شاهد العديد من الأفلام الفرنسية والعالمية، شاهد أفلام المخرج الهندي «ساتيا جيت راى»، مثل «باتر بنجالى، حجرة الموسيقى، ورجل البريد» وغيرها، شاهد كيف صنع هذا المخرج من المحلية أفلامًا عالمية، ليشعر بعدها عبد العزيز أنه وصل إلى حالة من الرضا الفني والثقافي، بما يشبعه إلى حد ما كفنان، وانتابته رغبة شديدة في العودة إلى مصر، ليطبق ما قرأ عنه وشاهده وعرفه ولمسه بيده عن قرب، من فن وفنانين من مختلف الثقافات والحضارات.. فقرر العودة إلى مصر بشكل نهائي، بعد سنوات تنقل فيها ما بين القاهرة وباريس، وقضى أغلبها مغتربًا من أجل الفن، غير أن العودة لم تكن إلى مصر مباشرة، بل عبر العراق، بعد أن التقى الكاتب المسرحي ألفريد فرج في باريس، وعرض عليه المشاركة في مسرحية جديدة يكتبها لتقدم في دولة العراق الشقيق بعنوان «واه عروبتاه»، من بطولة سهير المرشدي، وإخراج كرم مطاوع.

سافر مخيون بالفعل إلى العراق، وبدأ حضور البروفات مع كرم مطاوع، غير أنه فوجئ به يتعامل معه باعتباره فنانًا مبتدئًا، يقف على خشبة المسرح للمرة الأولى، فلم يكن أمام عبد العزيز إلا أن يثور لكرامته ويصطدم مع كرم مطاوع، ويرفض العمل معه، وهو الموقف الذي أوقع العراقيين في حيرة، فالمخرج مصري والممثل مصري، فلم يكن أمامهم إلا أن صرحوا لعبد العزيز بأنه ضيف مرحب به في بغداد، يقيم فيها باعتباره ابنًا من أبناء البلد، بل وإنه هو من يحدد متى يمكن أن يغادر بغداد، ليشيع الخبر وسط المثقفين والمسرحيين العراقيين والمصريين الموجودين في بغداد، حتى فوجئ عبد العزيز بمحاولة كرم مطاوع التراجع عن موقفه، وإنهاء وجه الخلاف بينهما، خشية الأثر السيئ الذي قد يسببه له هذا الخلاف، وأرسل الناقد والكاتب المسرحي نبيل بدران لمحاولة إنهاء هذا الخلاف، وهو ما رفضه عبد العزيز مخيون، وقرر مغادرة بغداد على الفور، عائدًا إلى مصر، خاصة بعد أن عرضوا عليه الانضمام إلى حزب «البعث».

أحلام العودة

لم تكن رحلة عبد العزيز مخيون إلى باريس اغترابًا دائمًا، بل إنه بدأ رحلة فرنسا بين زائر ومقيم منذ العام ١٩٧٦، ليعود بشكل نهائي في العام ١٩٨١.. وخلال هذه السنوات لم ينقطع عن العودة من حين لآخر إلى القاهرة، لزيارة الأهل والأسرة، والاطمئنان عليه، وقد يضطر للبقاء في القاهرة، كلما لاحت في الأفق فرصة في عمل ما يمكن أن يسند إليه، وهو ما فعله عندما أسند إليه المشاركة في فيلم «أيام العمر معدودة»، أمام فريد شوقي وناهد شريف، وعماد حمدي، ومحمود المليجي، ومجدي وهبة، تأليف فيصل ندا، ومن إخراج تيسير عبود.

انتهى مخيون من تصوير الفيلم، ولم ينتظر عرضه وسافر مجددًا إلى باريس، وفي زيارة جديدة له بعد أكثر من عام، علم المخرج يوسف شاهين بأمر عودته من فرنسا، البلد الذي يقيم علاقات عديدة فيه على المستويات كافة، من مسؤولين في وزارة الثقافة وممثلين وفنيين، حتى طلب مخيون للمشاركة في فيلمه الجديد الذي يستعد لإخراجه بعنوان «إسكندرية ليه» وسط عدد كبير من الممثلين الكبار والشباب منهم، فريد شوقي، ويوسف وهبي، ومحمود المليجي، ونجلاء فتحي، ومحسنة توفيق، وأحمد زكي، وليلى فوزي، ويحيى شاهين، وعبد الوارث عسر، وزينب صدقي، بالإضافة إلى محسن محيي الدين، وعبد الله محمود، وأحمد محرز، وآخرين.

أخرج يوسف شاهين الفيلم، وشارك في كتابة السيناريو والحوار مع السيناريست محسن زايد، حيث يتناول الفيلم جزءًا من السيرة الذاتية لحياة شاهين في بداياته الأولى وحلم دراسة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية، عبر شريحة مهمة من مجتمع الإسكندرية خلال هذه الفترة، تضم بعض الإنجليز واليهود، إلى جانب المصريين، ليقدم عبد العزيز مخيون دوره في الفيلم ببراعة، وعلى الرغم من أنه في مستهل حياته الفنية، ولا بد أن ينفذ ما يطلبه منه المخرج دون جدال، إلا أنه بدا ضمن عدد قليل جدًا من الفنانين، الذين يعدون على أصابع اليد الواحدة، ممن لم يتأثروا بأسلوب وأداء يوسف شاهين في التمثيل، ولم يكن صورة مكررة منه على الشاشة، مثلما يفعل عدد كبير من الممثلين الشباب، بل والكبار أيضًا، عند العمل مع يوسف شاهين، وفي هذا الفيلم تحديدًا، الذي يتناول جزءًا من سيرته الذاتية.

كانت عودة مخيون إلى القاهرة، أصعب من الاغتراب، حيث كان عليه أن يبدأ من جديد، كأنه تخرج بالأمس في المعهد العالي للفنون المسرحية، رغم مرور ما يقرب من ربع قرن على تخرجه في العام ١٩٦٧، إلى حين عودته النهائية إلى مصر في العام ١٩٨١، وهي فترة كانت كافية للارتفاع ببعض زملاء دفعته إلى عنان السماء، وتحقيق نجومية كبيرة، في الوقت الذي بدأ فيه مخيون يعيش مجددًا قسوة البدايات ومحاولات الإنكار له، ليس لضعف موهبته أو لمشكلة لديه، لكن بسبب نظرة لم يكن مسؤولًا عنها، حيث شعر كأنما لسان حال البعض يقول:

«من هذا الذي هبط علينا فجأة من باريس؟.. وما الذي درسه هناك؟ وماذا سيفعل بدراسته معنا هنا؟!

بدأ عبد العزيز مخيون يتحسس خطاه في الوسط الفني، بمشاعر هاوٍ وسط عالم محترف، لا يملك سوى ثقافته المتنوعة، ورؤيته الفنية، وقدراته كممثل، فقد الكثير جدًا من حجم تواجده في سوق العمل الفني، ليس لضعف بداخله، لكن لعدم قدرته على إدارة نفسه كممثل، وعدم براعته في خلق شبكة علاقات متنوعة، يمكن أن تساهم في تسهيل مهمة وجوده على الساحة الفنية، وعلى الرغم من ذلك فلا تخطئه عين تعي معنى كلمة ممثل مجتهد وبارع في أدائه، فاختاره المخرج أحمد طنطاوي لتقديم دور «كيمون» ابن القائد العسكري الأثيني «ملتيادس»، في المسلسل الديني «الكعبة المشرفة» للكاتبة أمينة الصاوي، بمشاركة شكري سرحان، ويوسف شعبان، ومحسنة توفيق، ومجدي وهبة، وتيسير فهمي، وآخرين، ليؤكد مخيون أهميته كممثل، ما جعل المخرج أحمد طنطاوي يستعين به في العمل التالي له مباشرة، في الجزء الثالث من مسلسل «محمد رسول الله»، للكاتب عبد الحميد جودة السحار، سيناريو وحوار عبد الفتاح مصطفى، أمام شكري سرحان، وعبد الله غيث، ومجدي وهبة، وعلي الغندور، وسمير حسني، وإلهام شاهين، وغيرهم، ليجسد مخيون شخصية «عزيز» الرجل الصالح، الذي اعتبره اليهود من أنبياء بني إسرائيل، وأماته الله مئة عام، ثم بعثه، ليجدد دين التوحيد لبني إسرائيل وعلمهم التوراة بعد أن نسوها.

بدأت عجلة العمل تدور مجددًا، والتفت المخرجون والمنتجون إلى وجود مخيون، وعلى الرغم من سعادته بالأدوار التي يقدمها، إلا أنه شعر بأنه لايزال بعيدًا عن الجمهور، خاصة أن مشاركته في الأعمال الدينية، لا تُظهر وجهه الحقيقي للجمهور، حيث يكون متخفيًا خلف ماكياج الأدوار الدينية أو التاريخية، ليجد متنفسًا جديدًا من خلال مسلسل «أبواب المدينة» للكاتب أسامة أنور عكاشة، والمخرج فخر الدين صلاح، أمام عبد المنعم إبراهيم، وصلاح السعدني، وصلاح قابيل، ونسرين، ودلال عبد العزيز، وأحمد بدير، ورياض الخولي، وآخرين، ليقدم مخيون دور «عبد الرافع مختار»، وهو الدور الذي تأكد وجوده، وحرص الكاتب أسامة أنور عكاشة على زيادة مساحته وتفاعله في الأحداث في الجزء الثاني من المسلسل، ليكون بعده على موعد آخر مع أفلام يوسف شاهين، الذي اختاره ليشارك في فيلم «حدوتة مصرية»، الجزء الثاني من سيرته الذاتية، المأخوذ عن فكرة للكاتب يوسف إدريس، وفي أفلام يوسف شاهين، لا أحد يسأل عن مساحة الدور، حيث يحرص على حشد مجموعة كبيرة من الممثلين في أدوار قصيرة، غير أنها تكون غالبًا فاعلة، فشارك مخيون في الفيلم أمام نور الشريف، ويسرا، ومحمد منير، ومحسن محيي الدين، وعبد الله محمود، وسهير البابلي، وماجدة الخطيب، وعلي الشريف، ورجاء حسين، وسيف عبد الرحمن، وآخرين.

يشهد العام ١٩٨٢ فرصتين جديدتين في التليفزيون، شعر عبد العزيز بأنهما يمكن أن تكونا جواز مروره إلى الجمهور، فكل منهما فرصة جيدة بمساحة دور يمكن أن يشاهده خلالها

الجمهور، الأولى كانت من خلال شخصية «عبد الفتاح النديم» شقيق «عبد الله النديم» في مسلسل «النديم»، الذي كتبه يسري الجندي، وأخرجته علوية زكي، أمام عزت العلايلي في شخصية «عبد الله النديم»، ومعهما محمود المليجي، وحمدي غيث، وعفاف شعيب، وعقيلة راتب، وجميل راتب، ورشوان توفيق وآخرين.

أما الدور الثاني، فرغم أنه الأقرب إلى قلبه وعقله، إلا أنه شعر بخوف شديد، ليس من الدور في حد ذاته، لكن لأنه لأول مرة سيجسد شخصية معاصرة، لايزال صاحبها على قيد الحياة، بل وله اسم كبير وشأن فني ضخم، حيث سيجسد شخصية موسيقار الأجيال «محمد عبد الوهاب»، من خلال مسلسل «أمير الشعراء أحمد شوقي»، الذي كتبه كمال إسماعيل، ولفت نظر المخرج إبراهيم الصحن، ذلك الشبه الكبير في الملامح بين عبد العزيز مخيون، وموسيقار الأجيال خلال مرحلة الشباب الأولى، فقرر الاستعانة به لتقديم الدور ضمن أحداث المسلسل، فيما يجسد دور أمير الشعراء محمود ياسين.

شعر مخيون بأنه أمام تحدٍ جديد وكبير، ولا بد أن يكون قادرًا على هذا التحدي، وعلى قدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، حتى لو كان سيقدم الشخصية في مشهد واحد، وليس بمساحة كبيرة، توضح طبيعة العلاقة بين أمير الشعراء، وموسيقار الأجيال في مستهل حياته الفنية.

أخذ مخيون السيناريو وبدأ يستعد للشخصية، غير أنه توقف أمام نقاط عدة في السيناريو، كان لا بد أن يستوضحها، خاصة أن صاحب الشخصية لايزال على قيد الحياة، ومن الوارد بشكل كبير أن يشاهد العمل، خاصة أنه يتناول سيرة معلمه وصاحب فضل كبير عليه، غير أن مخيون لم يجد إجابات عن أسئلته، سواء لدى كاتب السيناريو أو المخرج، فقرر أن يقوم بمبادرة جريئة لم يعتد عليها في مواقف كثيرة في حياته، قرر أن يبادر بالاتصال هاتفيًا بالموسيقار محمد عبد الوهاب في بيته، ويسأله عن بعض تفاصيل الشخصية، التي لم يهتم السيناريو بوضعها، وبالفعل أحضر رقم هاتفه المنزلي، واتصل به، غير أن الموسيقار محمد عبد الوهاب اندهش كثيرًا، ليس من المكالمة، بل من أن هناك عملًا فنيًا يقدم شخصيته، ولو في عدة حلقات، دون الرجوع إليه أو موافقته، فما كان منه إلا أن اعتذر عن عدم الكلام، لأنه ليس لديه وقت.

اجتهد مخيون في تصوير عدد من المشاهد الخاصة بالشخصية، وفق رؤيته لموسيقار الأجيال، والصورة التي لاتزال حاضرة في ذهنه، منذ أن حضر عبد الوهاب مسرحية «الزلزال»، وشارك فيها مخيون وهو لايزال طالبًا في المعهد، وشاهد طريقة كلام عبد الوهاب وملابسه و«الطربوش» الذي كان يُصر على ارتدائه، رغم انتهاء موضته، غير أنه اصطدم بمشهد وجد أن به الكثير جدًا من التفاصيل الغائبة عنه، وهو مشهد غناء عبد الوهاب في عرس نجل أمير الشعراء، وهو يوم لا بد أن يكون حاضرًا في ذهن موسيقار الأجيال، ويعرف ماذا ارتدى في هذا اليوم؟ ماذا غنى؟ كيف وقف وهو يغني؟ كيف أمسك بالعود؟ هل كان واقفًا أم جالسًا؟ أسئلة أخرى عديدة وجد مخيون نفسه محاصرًا بها، ولا إجابة لديه أو في السيناريو، وطبيعته كممثل

يهتم بكل التفاصيل، لا تسمح له بأن يؤدي المشهد كما هو مكتوب، وليتحمل كاتب ومخرج العمل المسؤولية عنه، فقرر أن يُجرى محاولة أخرى، ويتصل بموسيقار الأجيال في بيته، لعل المحاولة تنجح، وهو ما حدث بالفعل، خاصة بعد أن سأله عبد العزيز في البداية عن موقف الغناء في عرس نجل أحمد شوقي، فيبدو أنه استحضر الموقف في ذاكرته، وانتابه حنين سريع لهذه الفترة، فسمح له محمد عبد الوهاب بأن يزوره في تمام الواحدة ظهر اليوم التالي في بيته.

كان عبد العزيز في الموعد تمامًا، فتحت له الباب سيدة يبدو أنها مديرة المنزل، ترتدي «يونيفورم»، صحبت مخيون في الدخول، من صالون لآخر لثالث، حتى سمحت له بالجلوس في مكان اختارته له، بجوار شرفة تطل على النيل، وأمامه تابلوه رسمه الفنان الكبير حسين بيكار، للسيدة «نهلة القدسي»، ولم تمر دقائق قليلة على جلوسه، حتى أطل عليه الموسيقار محمد عبد الوهاب، يمشي بخطوات بطيئة، كأنما يتحسس خطواته، يرتدي «روب حرير» أزرق به نقط حمراء، وقبل أن يرحب به أو يسأله عن شيء، بادره وهو يجلس في الكرسي المقابل له:

= أيوه يا سيدي عايز تعرف بقى أنا عملت إيه في فرح ابن أمير الشعراء؟

* أيوه يا فندم يا ريت.. بس اسمح لي أقرأ لسيادتك المشاهد اللي حضرتك موجود فيها.

انتهز عبد العزيز الفرصة وبدأ يقرأ على موسيقار الأجيال دوره كاملًا في المشاهد التي سيقدمها في مسلسل «أمير الشعراء»، وهو يستمع ويهز رأسه، ثم يستوقفه ليصحح له معلومة ما، فيقوم عبد العزيز بتصحيحها على هامش السيناريو، ثم استوقفه قائلًا:

= شوف... شوقي بك ماكنش يروح أي مكان إلا كان ياخدني معاه.. الرحلة اللي بتقول عليها دي في بيروت أنا كنت وياه.. كان لازم ياخدني معاه بيروت أو دمشق، أو أي مكان في الداخل أو الخارج.

* طيب وفي الفرح.

= أيوه الفرح كان شيء بديع جدًا.. وكان حاضر فيه شخصيات عديدة من السياسيين والمثقفين والفنانين.. وأنا غنيت فيه الأغنية اللى بتقول:

دار البشـــــاير مجلـسنا ولـيل زفافك مؤنســـــنا

إن شاء الله تفرح يا عريسنا وإن شاء الله دايما نفرح بك

على السـعادة وعلى طيرها وادخل على الدنيا وخيرها

فرحة تشوف في ابنك خيرها وتعيش لآهلك ولصاحبك

بعدها قام عبد الوهاب بتصحيح بعض المواقف والمعلومات ونوعية الأغاني التي قدمها.. خصوصا الجلسة التي غني فيها وكان يحضرها من الفنانين زكي طليمات، وروزاليوسف وعبد القادر المازني وآخرين، وقام بتصحيح الأغنية التي غناها في هذه الجلسة، ثم صمت قليلًا

وصفق على يديه لمرة واحدة، فحضرت السيدة مديرة المنزل، فطلب منها «النظارة»، وما إن ارتداها ونظر في وجه مخيون حتى بادره:

= الله ده انت فيك ملامح منّي فعلًا وأنا في المرحلة دي.

* يبدو كده يا فندم علشان كده اختاروني أعمل الدور.

= الله هي إيه الحكاية دي بقى يا سيدي؟

* والله ده شرف ليا يا فندم.. أنا والدي حكالي إنه فترة جوازه الأولى من والدتي.. وقبل ما أنا أجاي.. كان دايمًا بياخدها إسكندرية علشان يشوفوا أفلام حضرتك في السينما.. وعندنا مثل ريفي بيقول «العين نقالة» فيبدو أن الشبه جه من هنا.

= آه دا أنت حكاية.. قوللي أنت إيه بقى؟

* أنا يا فندم اسمي عبد العزيز مخيون.. ممثل خريج معهد الفنون المسرحية قسم تمثيل وإخراج.. اشتغلت شوية هنا في القاهرة وبعدين سافرت للدراسة في باريس.

= باريس!!

* أيوه يا فندم.. قعدت هناك حوالي تلت سنين

= جميل.. باريس حلوة مش كده؟

* طبعًا بلد السحر والجمال.

= طيب يا سيدي.. شوف.. لازم أولًا تلبس البدلة كاملة.. وعقدة الكرافتة لا هي كبيرة ولا هي صغيرة.. توسطنها.. والطربوش يبقى نازل شوية على حاجبك الشمال.. لازم وتكون في «القيافة» الكاملة.. عندك بدل للدور ولا أجيبلك بدلة من عندي.

* لا يا فندم أشكرك عندي.

= وبعدين إزاي تعملوا حاجة عني من غير ما تدوني خبر؟

* والله ما أعرف يا فندم.. هو المؤلف الأستاذ كمال إسماعيل.

= كمال إسماعيل.. أيوه أعرفه كان مدير إذاعة صوت العرب.. وإزاي كمال ما يكلمنيش ويقولي؟

* يبدو يا فندم لأن العمل عن شوقي بك.. فمحبش يزعج حضرتك.

= على كل حال.. أتمنى تعملوا عمل كويس.

شكر عبد العزيز موسيقار الأجيال على رحابة صدره وما أتاحه له من وقت، ليسأل كيفما شاء وعما شاء، وفي نهاية اللقاء قام بتوصيله حتى باب الشقة، وهو يتمنى له التوفيق.

على الرغم من التعديلات الكثيرة التي قام بها محمد عبد الوهاب مع مخيون في نسخة السيناريو، إلا أن المثير في الأمر، أن المخرج لم يأخذ بأي منها، وأبقى الوضع كما هو في نسخة السيناريو، بما في ذلك الأغنية الخطأ التي من المفترض أن يغنيها عبد الوهاب في عرس نجل أمير الشعراء.

بعد المسلسل توالت الأعمال على عبد العزيز مخيون، فشارك خلال العام ١٩٨٣ في ثلاثة مسلسلات، الأول مسلسل تاريخي بعنوان «الطريق إلى سمرقند» مع المخرج نفسه، إبراهيم الصحن، ومن تأليف عبد الرحمن فهمي، أمام أحمد مظهر، وعمر الحريري، وأشرف عبد الغفور، وحسن حسني، وإبراهيم يسري، ثم قدم شخصية «د. أحمد» في مسلسل «الامتحان» أمام شريهان، وجميل راتب، وسناء جميل، وسلوى خطاب، تأليف كرم النجار، وإخراج شقيقه رضا النجار.

والعمل الثالث كان الجزء الثاني من «أبواب المدينة»، للكاتب أسامة أنور عكاشة، والمخرج فخر الدين صلاح، ورغم ذلك لم يقدم خلال العام ١٩٨٤ سوى عمل واحد فقط، من خلال مشاركته في الجزء الرابع من مسلسل «محمد رسول الله»، للكاتب عبد الحميد جودة السحار، ومن إخراج أحمد توفيق.

لم يكن عبد العزيز مخيون يهتم كثيرًا بعدد الأعمال التي تُسند إليه، بل يضع نصب عينيه دائمًا أهمية الدور الذي سيقدمه، وما الذي سيقول للناس من خلاله، وهو ما كان يبحث عنه دائمًا في كل ما يُسند إليه من أعمال، حتى جاء العام ١٩٨٥، وشعر مخيون خلاله بأنه قد يكون خلال هذا العام على موعد من الشهرة والانتشار، اللذين غابا عنه طويلًا، لما يقرب من ٢٨ عامًا، منذ تخرجه في المعهد العالي للفنون المسرحية، ليجد نفسه خلال هذا العام، ولأول مرة، يعمل في السينما والمسرح والتليفزيون، وجميعها أدوار لها معنى ودلالة، وهو ما جعله يوافق على دور قصير لا يتعدى دقائق معدودة على الشاشة، أمام زميل دراسته نور الشريف في فيلم «الحكم آخر الجلسة»، قصة فتحي أبو الفضل، سيناريو وحوار أحمد صالح، إخراج محمد عبد العزيز، حيث قدم مخيون دور «ثروت همام» الشقيق المتخلف عقليًا، الذي يكون مرضه محور أحداث الفيلم، وبسببه ترفض «أوصاف» التي جسدتها بوسي، زوجة «سعيد همام»، الذي جسده نور الشريف، الإنجاب منه، حتى لا ينجبا أطفالًا لديهم نفس الإعاقة الذهنية.

في العام نفسه شارك في المسلسل التاريخي «عبد الرحمن بن خلدون» أمام نور الشريف، تأليف مصطفى محرم، وإخراج محمد عبد السلام، ثم المسلسل الاجتماعي «ناس مودرن»، أمام ليلى علوي، وإلهام شاهين، ومحمود الجندي، وخليل مرسي، تأليف أحمد المحمدي، وإخراج عبد الله الشيخ، ليكون بعده على موعد جديد مع أعمال المبدع أسامة أنور عكاشة.

براعة المشخصاتي

على الرغم من صغر الأدوار التي أُسندت إليه خلال هذه المرحلة، سواء في المسرح أو السينما أو التليفزيون، قدمها عبد العزيز مخيون ببراعة، في حدود المتاح من مساحة كل دور، غير أنه لم يشعر بأنه استطاع أن يُخرج الممثل الذي بداخله، لم تتح له فرصة إطلاق العنان لشخصية الممثل بداخله طيلة ٢٨ عامًا، ورغم ذلك لم يتعجل الأمور إلى الشهرة والنجومية، بل ما يهمه في المقام الأول، ما الذي سيقدمه للجمهور، وربما هو ما جعله يرفض بعض الأعمال، وهو في أمس الحاجة لعمل يقدمه للجمهور بشكل يليق به.

تلك البدايات الهادئة لعبد العزيز مخيون، توافقت مع البدايات الهادئة للكاتب الكبير أسامة أنور عكاشة، الذي بدأ رحلته ومشواره مع الكتابة من خلال الرواية، بعد تخرجه في قسم الدراسات النفسية والاجتماعية بكلية الآداب جامعة عين شمس في العام ١٩٦٢، غير أنه عمل لسنوات طوال بين عدد من الوظائف في سلك التعليم، كان آخرها عمله أخصائيًا اجتماعيًا في رعاية الشباب بجامعة الأزهر، حتى قرر تقديم استقالته في العام ١٩٨٢ ليتفرغ للكتابة، غير أنه خلال الفترة السابقة على الاستقالة من الوظيفة، قدم عددًا من أعماله الإبداعية بين السهرات التليفزيونية والمسلسلات، التي حققت نجاحًا محدودًا، خاصة أنها لم تقدمه للجمهور بما يليق بموهبته، إلى أن عرض مسلسل «الشهد والدموع»، الذي وضعه المسؤولون بالتليفزيون في وقت متأخر على خريطة البرامج، وعلى الرغم من ذلك، نجح المسلسل في الوصول لأكبر قاعدة جماهيرية، ليس في مصر فقط، بل في الوطن العربي، بعد بيعه لعدد من القنوات العربية، التي لم تكن قد خرجت بعد للفضاء، ما جعل جهات الإنتاج تتصارع على إنتاج الجزء الثاني من المسلسل، غير أن التليفزيون المصري قرر إنتاج هذا الجزء، بعد أن كان الجزء الأول من إنتاج استوديوهات «عجمان» الخاصة، بل ويتقدم الأعمال التي تعرض خلال الموسم الأشهر للدراما المصرية، خلال شهر رمضان، في أكثر الأوقات تميزًا.

لم يشارك عبد العزيز مخيون في الجزء الأول من المسلسل، غير أنه لم يغب عن تفكير المبدع أسامة أنور عكاشة، واتفق مع المخرج إسماعيل عبد الحافظ على اختيار مخيون لأداء شخصية «وحيد»، الابن الذي ينجبه الحاج «رضوان» من زواجه الأخير، وهو ما يرفضه الأخ الأكبر «حافظ»، باعتباره سيتقاسم معه التركة، هو والأخ الأصغر «شوقي»، الذي نجح «حافظ» في إزاحته من طريقه.

جاءت شخصية «وحيد» في الجزء الثاني، لتمثل الخير والحب والتسامح، ويكون بمثابة حلقة الوصل بين أولاد العمين المتخاصمين، بسبب إحساس أولاد «شوقي» بالقهر والظلم من حرمانهم من ميراث والدهم، لينجح في مهمته بالفعل، بوجهه الذي لايزال يحتفظ ببراءته وطفولته، فضلًا

على أن عبد العزيز أحب الدور، وأداه بصدق شديد، فوصل إلى قلوب كل الجماهير، على الرغم من مساحته القصيرة بالمقارنة بمساحة بقية أبطال المسلسل، ليعلق بذهن المتفرج العديد من المشاهد التي أداها «وحيد»، ربما من بينها على سبيل المثال مشهد «الشغالة» الذي جسدته الفنانة، فتحية طنطاوي، وهي تحكي فيه شكواها فيما وحيد يعزف على البيانو، وهو متأثر بشكل كبير، لدرجة أن مخيون تمنى لو أنه تدرب على عزف البيانو على يد متخصص، ليكون المشهد أكثر تأثيرًا، ليكون العزف بطريقة صحيحة ويعكس الحالة النفسية لشخصية «وحيد»، كذلك مشهد وفاة الزعيم جمال عبدالناصر، قدمه بمصداقية شديدة، لدرجة أنه بكى بكاءً حقيقيًا، عندما يدخل حزينا باكيا وهو يقول:

* جمال عبد الناصر مات

بعد عرض المسلسل أدرك مخيون أنه نجح في مهمته ووصلت مصداقيته للجمهور، الذي أكد له ذلك بنفسه، عندما كان يمشي في شارع عبد الخالق ثروت في وسط البلد، في أحد الأيام أثناء عرض المسلسل، لتتوقف بعض السيدات وهن يشرن إليه:

= عم الولاد أهو..

– ولاد مين؟

= عم ولاد حافظ وشوقي في الشهد والدموع.

– معقولة!

= والله هو عم الولاد.. ده ممثل جميل وطيب أوي.

شعر عبد العزيز بأنه استطاع أن يضع قدميه على الطريق الصحيح، غير أنه قرر أن ينوع في اختياراته، ليس فقط ليؤكد للمخرجين قدراته كممثل يستطيع أن يؤدي كل الأدوار ببراعة، بل ليؤكد لنفسه أيضًا أنه يسير في الاتجاه الصحيح، مستفيدًا بما تسلح به من علم وثقافة رفيعة، وهو ما جعله يرحب بسعادة شديدة باختيار الكاتب وحيد حامد والمخرج سمير سيف له، ليؤدي شخصية «عادل» من خلال مسلسل «سفر الأحلام»، أمام الفنان محمود مرسي، وصلاح السعدني، وآثار الحكيم، وناهد رشدي، ونجاح الموجي.

كان سر سعادة مخيون بشخصية «المهندس عادل»، إنها مختلفة تمام الاختلاف عن شخصية «وحيد»، التي أحبها الجمهور في «الشهد والدموع»، حيث إن عادل مهندس وزوج غير مسؤول، هجر بيته وزوجته «المهندسة فردوس» وابنه الطفل، وسار على وجهه، يبحث عن «الجنة الفاضلة»، بعد انقلاب الهرم الاجتماعي وصعود طبقة المنتفعين، وتصدرها المشهد الاجتماعي، لتختاره بعدها الفنانة سميرة أحمد بالاتفاق مع المخرج أشرف فهمي، ليشارك في فيلم «امرأة مطلقة» من بطولتها وإنتاجها، ليقدم شخصية «القاضي» الذي يفصل في النزاع بينها وبين زوجها الذي جسد دوره محمود ياسين.

في العام نفسه، ١٩٨٦، وبعد مرور أكثر من عشر سنوات على لقائهما الأول في فيلم «الكرنك»، يطلبه المخرج علي بدرخان، في فيلم «الجوع»، الذي أعده للسينما عن رواية «الحرافيش» للكاتب نجيب محفوظ، ليتقاسم مخيون البطولة من خلال شخصية «جابر الجبالي» زوج «زبيدة» التي تجسدها سعاد حسني، وشقيق الفتوة «فضل الجبالي» الذي يجسده محمود عبد العزيز، الذي بعد أن يختاره الأهالي فتوة عليهم، يتزوج من السيدة «ملك السمري»، التي تجسد دورها يسرا.

جسد مخيون دور «جابر»، الذي اختار له نجيب محفوظ بعناية كعادته مع أسماء شخصياته الدالة على جوهرها، ليصبح «جابر» هو جابر الخواطر بين أهالي الحارة، بعد أن تجبر عليهم شقيقه الفتوة، بل ويكون جابر ضحيته الأولى، الذي يذيقه صنوف العذاب والقهر، لأنه انحاز للفقراء وطالب بحقوقهم، ليبدع مخيون في أداء الشخصية، للدرجة التي لفتت أنظار سعاد حسني بشدة، حيث لاحظت أن موهبته تتناقض بشكل كبير مع شخصيته البسيطة المتواضعة، وهو ما قد يفسره الآخرون بشكل خاطئ، فحرصت على أن تلفت نظره إلى ذلك، خاصة عندما وجدته يتناقش مع أحد مديري الإنتاج، فأشارت إلى مخيون بيدها لتتحدث معه:

= تعال هنا قوللي.. أنت إيه اللى بتعمله ده؟

* إيه في إيه.. أنا عملت حاجة غلط ولا إيه؟

= طبعًا غلط.. وغلط كبير كمان.

* يا ساتر يا رب إيه اللي عملته؟

= أنت واقف مع مدير الإنتاج ده بتعمل إيه؟

* أبدًا.. ده عايز يغالطني.. ومش أول مرة.

= يغالطك في إيه؟

* بطالبه بدفعة التصوير بيقولي أنه أدهالي.. وأنا والله ما أخدت حاجة.

= يا نهارك أبيض.. أنت يا جدع أنت عايز تجنني؟

* ليه بس يا سندريلا.. عملت إيه؟

= يا عبد العزيز أنت ممثل موهوب.. وموهوب جدًا جدًا.. من الممثلين القليلين الشاطرين.

* ربنا يخلكي دي شهادة أعتز بيها.

= أنا مش بمدحك.. أنا بوصف موهبتك أنت المفروض بموهبتك دي تكون أد كده عشر عشرين مرة.

* أنا مش عارف أقولك إيه والله.

= متقولش حاجة.. بس لازم تعرف قيمة موهبتك.. مينفعش تتعامل مع الناس دي بالشكل اللي أنا شوفته ده.

* ليه أنا بطالب بحقي.

= عارفة إنه حقك.. بس مش أنت اللي تتعامل معاهم ولا تسيبه يتكلم معاك كده.. لازم يكون في حد ينوب عنك في الأمور دي.. لازم يكون في حد يدير أمورك.. وكمان يقدمك بالشكل اللي يليق بيك.

* فعلا عندك حق

= أنا آسفه طبعا إني بتدخل في أمورك وبكلمك بالطريقة دي.. بس فعلًا أنا مستخسرة موهبتك.

* بالعكس أنا سعيد جدًا بكلامك ده.. اللي أنا فاهمه كويس.. وباشكرك جدًا عليه.

لم يكن ما سمعه عبد العزيز من السندريلا حول عدم اهتمامه بتسويق وتقديم نفسه كفنان، بما يليق به وبموهبته، جديد عليه، غير أن الشهادة هذه المرة من فنانة قديرة ونجمة كبيرة لها اسمها وتاريخها، وتستطيع أن تحكم على مواهب الآخرين، غير أن عبد العزيز لم يكن يجيد إدارة فنه وتقديم نفسه للمخرجين وتسويق موهبته لدى شركات الإنتاج، ما كان سببًا في ضياع العديد من الفرص المهمة، التي ربما كانت ستمثل علامات فارقة في مشواره الفني، والأهم من ذلك هو عدم اكتراثه بتلك الفرص الضائعة، أو أهمية إقامة شبكة علاقات عامة ناجحة، كما يحرص كبار النجوم والنجمات، حيث يفضل رحلة إلى الفيوم، حيث الهدوء والراحة وهواية الصيد، على حضور مناسبة فنية تجمع بين أهل الصناعة من فنانين ومؤلفين ومنتجين ومخرجين، أو الجلوس بمفرده والاستماع لموسيقى كلاسيك، خاصة تشايكوفسكي، وبيتهوفن، على حضور حفل يضم بعض النجوم والنجمات، يكره الزحام ويبتعد عنه مهما كانت الأضواء مسلطة عليه.

على الرغم من الاسم الكبير الذي حققه الكاتب أسامة أنور عكاشة، من خلال كتاباته في الدراما التليفزيونية، والثقة الكبيرة التي نالها من جماهيره العريضة في مصر والوطن العربي، إلا أن التليفزيون المصري «ماطل» في إنتاج مسلسله الجديد «ليالي الحلمية» ما دفعه لقبول جهة إنتاج عربية، لإنتاج ١٨ حلقة من إخراج إسماعيل عبد الحافظ، ورشحا معًا محمود ياسين لأداء شخصية «سليم باشا البدري» لكنه اعتذر عن عدم تقديمها، فعرضت الشخصية على محمود عبد العزيز، فاعتذر أيضًا لانشغاله بأعمال أخرى، فأرسل إسماعيل عبد الحافظ الحلقات إلى يحيى الفخراني، وقد كتب على غلاف الحلقة الأولى «شخصية العمدة سليمان غانم»، غير أن الفخراني بعد القراءة اقترح على أسامة أنور عكاشة وإسماعيل عبد الحافظ أن يقدم شخصية «سليم باشا» فوافقا، وأرسلا شخصية العمدة إلى الفنان سعيد صالح، الذي اعتذر عن عدم العمل في التليفزيون لانشغاله بالمسرح، فذهبت الشخصية إلى صلاح السعدني، وصفية العمري

في دور «نازك السلحدار»، وسيد عبد الكريم في دور «زينهم السماحي»، وشخصية «أنيسة» رشحت لها الفنانة صفاء أبو السعود التي اعتذرت عن عدم المشاركة في المسلسل، ليتم اختيار فردوس عبدالحميد للشخصية، مع مشاركة سهير المرشدي، وحسن يوسف، وأحمد مظهر، وآخرين، واختار عكاشة وعبد الحافظ معًا، أن يقدم عبد العزيز مخيون، شخصية المناضل الثوري «طه السماحي».

كعادته لم يتعامل مخيون مع أدواره بالكيلو متر أو بمدى مساحتها، بل بقيمة ما سيقوله الدور، وما سيصل للناس منه، مهما كان حجمه، وهو ما تعامل به مع شخصية المناضل «طه السماحي»، الذي شارك في جزأيه الأول والثاني، وشارك في بقية الأجزاء كصورة معلقة على حائط شقيقه المعلم «زينهم السماحي».

بدأ تصوير المسلسل، قبيل شهر رمضان، وقبل أن ينتهي تصوير الحلقات الأولى من المسلسل، هل هلال شهر رمضان، فأصبح مخيون يصور أغلب مشاهده قبيل الإفطار بوقت قليل، حيث قام بتصوير مشهد في المقبرة الملكية بدقائق معدودة، وبعد انتهاء التصوير شعر بقلق أن يكون المشهد لم يأخذ حقه، أو أن يكون قدمه بطريقة ليست جيدة، ولم يطمئن إلا بعد أن أشاد الجميع بالمشهد، كذلك مشهد مع والد زوجته في المسلسل الذي يجسده الفنان «عطية عويس»، وتجسد دور زوجته «نجاة» الفنانة دلال عبدالعزيز، حيث كان تصوير المشهد قبل الإفطار بدقائق أيضًا، حيث تدور أحداث المشهد حول مواجهة حامية بين الزوج المطارد، والأب الخائف على ابنته، وما إن انتهى المشهد، حتى أنطلق مدفع الإفطار.

لم يهنأ مخيون بإفطاره، وما إن فرغ الجميع وبدأ الاستعداد للعودة للتصوير، حتى اتجه مخيون إلى المخرج إسماعيل عبد الحافظ، والمؤلف أسامة أنور عكاشة، وفاجأهما بما يطلبه:

* أستاذ إسماعيل أنا ممكن أعيد المشهد.

= مشهد إيه يا مخيون؟

* المشهد اللي بيني وبين الأستاذ عطية عويس.

= تعيده ليه؟

* بصراحة أصل حسيت إنه اتعمل بسرعة.. ويمكن نكون استعجلنا علشان ميعاد الفطار.

= يا حبيبي المشهد لو كان مش كويس ماكنتش هافركش حتى لو قعدنا نصوره للسحور مش الفطار.. المشهد معمول حلو أوي.. ومظبوط تمام.

– أنت قلقان ليه يا عبد العزيز؟

* مش قلقان ولا حاجة يا أستاذ أسامة بس كنت عايز اطمن على المشهد.

– المشهد رائع وإحساسك عالي جدًا فيه.. بالعكس كل مشاهد طه أنا شايفه قدامي زي ما تصورته تمام.. بنفس الحماس ونفس الإحساس.

الباب الرابع...
عطاء متدفق

كان التصوير يتم في فيلا بالجيزة، وكان المفترض أن يتم تصوير مشهد فرح في حديقة الفيلا، وهو المشهد الذي سيبدأ مخيون بعده استئناف تصوير مشاهده، فدخل إلى إحدى الغرف ليستريح قليلًا لحين انتهاء المشهد، غير أنه يخرج من وقت لآخر للاطمئنان إذا ما كان مشهد الفرح انتهى أم لا، فخرج ودخل أكثر من ثلاث مرات، ثم استسلم في نهاية الأمر للنوم من شدة الإرهاق ومواصلة الليل بالنهار، فاستغرق في النوم ليستيقظ ليجد ظلامًا دامسًا حوله، والتصوير قد انتهى، وكل فريق العمل غادر مكان التصوير، فظل يبحث عن الباب لما يقرب من نصف الساعة، يتحسس طريقه وسط ظلام دامس لا يرى فيه كف يده، حتى استطاع أخيرا أن يخرج من الفيلا ويركب سيارته ليعود إلى بيته، لينسى كل لحظات التعب والإرهاق والقلق، بعد نجاح الشخصية والمسلسل بمصداقية غير مسبوقة.

ربما هي المرة الأولى التي ينشغل فيها عبد العزيز مخيون بتصوير أكثر من عمل في وقت واحد، وهو أمر بدأ يعتاد عليه، غير أنه لم يعتد من قبل أن يُعرض له خلال شهر رمضان اثنان من أكبر المسلسلات وأضخمها إنتاجًا، فهو إلى جانب عرض «ليالي الحلمية» كان يُعرض أيضًا مسلسل «البشاير» لصديقيه المؤلف وحيد حامد، والمخرج سمير سيف، اللذين سبق وقدم معهما مسلسل «سفر الأحلام»، لتكون التجربة الثانية لهم معًا في «البشاير» أمام محمود عبد العزيز، ومديحة كامل، وأحمد بدير، وسامي مغاوري، والقديرة أمينة رزق، ليقدم مخيون شخصية «هشام صبري» المخرج الذي يتولى إخراج أعمال النجمة «سلوى نصار»، التي جسدت دورها الفنانة مديحة كامل، ليجد مخيون نفسه للمرة الأولى محققًا نجومية غابت عنه لسنوات طويلة، عمل خلالها العديد من الأعمال التي لم تؤكد على موهبته الخاصة جدًا.

لم يكن تألق عبد العزيز مخيون خلال هذا العام ١٩٨٧ من خلال شهر رمضان فقط، فبعد عيد الفطر كان على موعد مع أول بطولة مطلقة له أمام الفنانة معالي زايد، وميمي جمال، ووفاء عامر، من خلال السهرة التليفزيونية «بصمات الوهم»، تأليف وإخراج يوسف أبو سيف، في الوقت الذي بدأ فيه عرض المسلسل البوليسي «الهروب إلى السجن»، تأليف محمد جلال عبد القوي، وإخراج عبد العزيز السكري، الذي شارك فيه بدور «مسيو أرنو»، أمام أحمد مرعي، وإلهام شاهين، وصلاح ذو الفقار، وعبد المنعم إبراهيم، وأحمد بدير.

النجاح الذي بدأ عبد العزيز مخيون يشعر به خلال هذا العام، لم يكن مقصورًا على مشاركاته التليفزيونية، بل فوجئ بالمخرج علي عبد الخالق، يطلبه للمشاركة في بطولة فيلم «بئر الخيانة»، الذي كتبه إبراهيم مسعود، ليجسد دور ضابط الموساد الإسرائيلي «أبو داود»، غير أنه قبل أن يوقع مع المنتج سعد شنب على المشاركة في الفيلم، كان على موعد آخر، في التوقيت نفسه، غير أن هذا الموعد كان عبارة عن باب جديد سيفتح على مصراعيه ليدخل منه عبد العزيز إلى «العالمية».

نضج .. فوق العادة

نجح عبد العزيز مخيون في أداء دور ضابط الموساد الإسرائيلي «أبو داود» بشكل جديد ومميز، غير أن ذلك جاء على حساب المسلسل الانجليزي «أقدار الحرب»، الذي كان يمكن أن يكون من أهم الفرص الفنية التي كان سيحصل عليها، وتقوده إلى العالمية، خاصة أنه لم يكن ينقصه شيء، فهو فنان يحمل موهبة خاصة، مثقف بشكل كبير، يتحدث الإنجليزية والفرنسية بشكل جيد جدًا، إلى جانب إجادته اللغة العربية.

واصل مخيون رحلته الفنية، كما يواصل تألقه في الجزء الثاني من «ليالي الحلمية»، مع المخرج إسماعيل عبد الحافظ، والكاتب أسامة أنور عكاشة، الذي عاد التعاون معه مجددًا في العام نفسه ١٩٨٩ من خلال مسلسل «أنا وأنت وبابا في المشمش» مع المخرج محمد فاضل، كما قدم شخصية «منير فهمي» مع المخرج وفيق وجدي في مسلسل «الكهف والوهم والحب»، تأليف محمد جلال، ليشارك في العام نفسه أيضًا في فيلمي «باب شرق» أمام فريد شوقي وممدوح عبد العليم ومجدي وهبة، من تأليف وإخراج يوسف أبو سيف، وشخصية «كامل» المثقف المأزوم في فيلم «ترويض الرجل» أمام كرم مطاوع ورغدة.

المؤكد أن الفنان لا يبحث عبر رحلته الفنية، عن أدوار تشبهه نفسيًا أو اجتماعيًا، بل يحرص على أن يضم تاريخه الفني تنوعًا ملحوظًا لأدوار مختلفة، وهو ما حرص ويحرص عليه عبد العزيز مخيون، أن يقدم نماذج ممن حوله من المجتمع، يعبر عنها، عن مشاكلها وأزماتها، وقضاياها المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع، وربما هو ما دفعه لقبول شخصية «يحيى» في فيلم «سيدة القاهرة»، الذي أخرجه الكاتب والمخرج المغربي مؤمن السميحي، وشارك في كتابته مع بشير الديك، ليقدم مخيون تلك الشخصية، لشاعر شاب يعيش في أقصى الجنوب، يؤمن بالثورة والتغيير، لكن تكسره الهزيمة، ويضيع في زحام العاصمة، ليجد مخيون نفسه خلال الأحداث، يلجأ إلى جزء من قصيدة لصديقه الراحل نجيب سرور:

في يوم ما من شهر ما من عام ما من قرن ما
سيجيء الفارس فوق براق
من أين يجيء.. من الأعماق
الفارس جبل عملاق
يتحدى أقدار الدرب

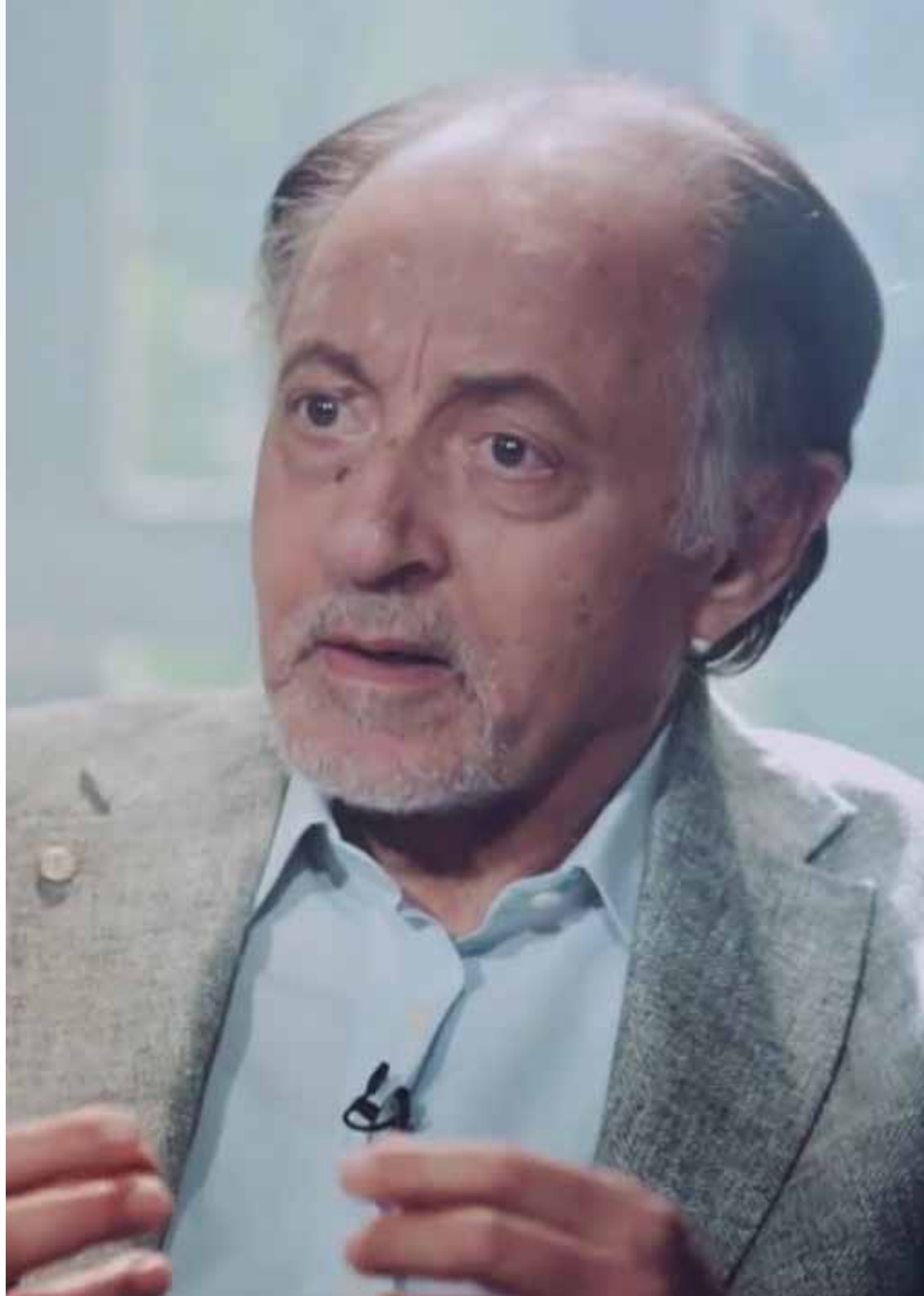

الفارس شعب سيهب

في يوم ما من شهر ما من عام ما من قرن ما

سيجيء الفارس فوق براق

قدم مخيون شخصية يحيى بطريقة السهل الممتنع، ببساطة وتلقائية، قال من خلاله الكثير، الذي يريد أن يقوله كفنان ومثقف شاهد على تلك الهزائم والانكسارات، ليخرج من الثمانينيات بأحد أهم أدواره خلال هذه المرحلة، إن لم يكن أهمها على الإطلاق، ليقدم في التوقيت نفسه شخصية «وجيه»، أحد ثلاثة أصدقاء يتنافسون على حب امرأة واحدة، من خلال فيلم «تحت الصفر» للكاتب أسامة أنور عكاشة، وإخراج عادل عوض، لتأخذه بعده السينما من الدراما التليفزيونية، فيقدم في العام ١٩٩١ أربعة أفلام، بدأها بالعمل مع اثنين من السينمائيين الواعدين، المخرج شريف عرفة، والسيناريست ماهر عواد من خلال فيلم «يا مهلبية يا»، ليقدم معهما شكلًا جديدًا من السينما، يؤكد على موهبة صناعها، وهو ما وجده أيضًا في شخصية «نور الدين» مع المخرجة أسماء البكري، التي كتبت معالجة سينمائية لرواية «شحاذون ونبلاء»، للكاتب ألبير قصيري، ثم شخصية «أحمد عبد الفتاح» الشاب الذي يشعر بظلم المجتمع له، بعد ضياع فرصته في أن يصبح معيدًا بكلية الهندسة بسبب الواسطة، وتخلي حبيبته عنه، وفقده لجميع أهله، تحت أنقاض منزله المنهار، فأراد الانتقام من المجتمع بإعلانه في الصحف عن نيته القفز من فوق برج القاهرة، من خلال فيلم «اليوم المشهود» عن قصة فتحي غانم، سيناريو وحوار وإخراج محمود سامي خليل.

على عكس الكثير من الفنانين الذين يبحثون فيما يُعرض عليهم من أداور، عن شخصيات بملامح خارجية خاصة تتناسب أولًا وحجم مواهبهم، كان عبد العزيز مخيون يبحث عن أدوار يجد فيها ولو جزءًا من نفسه وفكره وقناعاته الشخصية، حتى لو كانت الشخصية بعيدة عن تركيبته الإنسانية تمامًا، لكن من المهم أن يصب العمل في النهاية في اتجاه رؤيته، وهو ما يتوافق مع بحثه الدائم عن سينما جديدة، وهو ما وجده في فيلم «الهروب»، الذي كتبه مصطفى محرم، ويخرجه عاطف الطيب، ليقدم من خلاله شخصية الضابط «سالم»، الذي يعيش في إحدى قرى الصعيد، الذي يجد نفسه فجأة عالقًا بين واجبات عمله كضابط، ونخوته تجاه أهل بلدته في الصعيد، واضطراره للقبض على صديق عمره «منتصر»، الشخصية التي جسدها الفنان أحمد زكي، الذي أصبح قاتلًا وارتكب العديد من الجرائم.

رغم أهمية الموضوع وسخونة الأحداث وسرعتها، وكثرة أدوار المشاركين في العمل، إلا أن مخيون بنضجه الفني الذي وصل إليه، وخبرته كفنان مثقف، استطاع أن يقدم دورًا مختلفًا لضابط الشرطة، ترك أثرًا كبيرًا لدى المشاهد، رغم قصر مشاهده، لتظهر خبرته ونضجه

الفني، عندما يجد المشاهد فرقًا شاسعًا بين «سالم» ضابط «الهروب»، وبين مدير المباحث «فايز أبو حسين» في فيلم «الزمن الصعب»، تأليف أحمد عبد الرحمن، وإخراج محمد حسيب، وشخصية «حمدي الجرسون» في فيلم «امرأة آيلة للسقوط»، تأليف وإخراج مدحت السباعي، على الرغم من أنهم في عام واحد، وربما عمل فيها في وقت واحد.

تزامنت عودة انطلاقة عبد العزيز مخيون الفنية مع صعود تيار الواقعية الجديدة في السينما، من خلال عاطف الطيب ومحمد خان وعلي عبد الخالق، وغيرهم، كما شهد صعود اسم كل من وحيد حامد وأسامة أنور عكاشة في الدراما التليفزيونية، ما منحه فرصة للتواجد في العديد من الأعمال المميزة بأدوار كأنما كتبت له خصيصًا، ما أشعر مخيون بثراء التنوع في الشخصيات التي يقدمها، على الرغم من إصراره على المضي في الطريق الذي رسمه لنفسه منذ البداية، ولم يخضع لأي تنازلات يمكن أن تنتقص من احترامه لنفسه وفنه وجمهوره، حتى لو كان الثمن زيادة في أرصدته، لذا كان قليلون في الوسط الفني، سواء مخرجين أو مؤلفين أو حتى منتجين، هم من يعرفون مفاتيح الفنان بداخل عبد العزيز مخيون، وهو ما جعل الكاتب الكبير أسامة أنور عكاشة، يسند إليه دورًا مفاجأة، لم يكن ليخطر ببال مخيون أو كل من حوله، ويعرفونه جيدًا، على المستويين الفني والإنساني، بعد أن أسند إليه شخصية «عادل أبو ليلة»، في الجزء الأول من ملحمة «زيزنيا.. الوالي والخواجة»:

* أيوه يا أستاذ أسامة أنا عارف.. بس عادل ده نصاب ومحتال.

= وإيه المشكلة؟

* أنا عارف إن مفيش مشكلة.. وإنه شخصية في عمل فني.. لكن من طه السماحي لعادل أبو ليلة!

= بالظبط كده.. وده اللي أنا أقصده.

* مش فاهم؟

= قصدي أقول إني واثق إنك هاتتحدى نفسك في الدور ده.

بالفعل قبل مخيون التحدي، وقدم شخصية «عادل أبو ليلة»، النصاب الذي يحاول أن يبتز مطلقته، ليبرع فيها بشكل كبير، للدرجة التي نسي معها الجمهور «وحيد» و«طه السماحي»، خلال فترة عرض المسلسل.

تنقل عبد العزيز مخيون بين العديد من الأدوار سواء في السينما أو الدراما التليفزيونية، خلال الربع الأخير من حقبة التسعينيات، فقدم للسينما «مصطفى العربي» في «حسن اللول»، و«عماد» في «مجرم مع مرتبة الشرف»، و«أمين» في «شوية عيال»، كما قدم

للدراما التليفزيونية «المأمور» في «جمهورية زفتى»، و«فوزي منير» في «الدوائر المغلقة»، و«الدكتور حامد» في «بعد الظلام تشرق الشمس»، ليختتم حقبة التسعينيات، بالعودة مرة أخرى إلى موسيقار الأجيال محمد عبد الوهاب، من خلال مسلسل «أم كلثوم»، تأليف محفوظ عبد الرحمن، وإخراج إنعام محمد علي.

جاءت شخصية محمد عبد الوهاب مع المخرجة إنعام محمد علي، مختلفة وبإتقان شديد، فكان السر في التفاصيل العديدة، التي لم يكن لها علاقة بتمكن مخيون وقدراته التمثيلية التي لا حدود لها، ونتيجة لأدائه الذي يراه الكثير من النقاد أنه متميز في تجسيد الشخصية، أعاد مخيون تقديمها مرتين أخريين، في مسلسل «السندريلا» عن شخصية الراحلة سعاد حسني، ومن إخراج سمير سيف، و«أبو ضحكة جنان» عن شخصية ملك الكوميديا إسماعيل ياسين، مع المخرج محمد عبد العزيز.

من المؤكد أن شخصية فنية كما عبد العزيز مخيون، تعتني بالضرورة بما يقدم لها من أدوار، ولم يكن مجرد قول، حين ذكر مخيون في أكثر من مناسبة، أن «النص» من أهم أولوياته في العملية الفنية، سواء في المسرح أو السينما وكذلك التليفزيون، وربما هو ما يفتقده فن التمثيل اليوم، فضلًا عن الجانب الثقافي الغائب لدى الكثيرين، وهو ما أفاد مخيون وجعله يستطيع البروز والتميز في كل أدواره، فعندما يشارك ممثل أقل منه موهبة يبرز هو بشكل أكبر ويعالج هذا النقص، وفي المقابل عندما يقف أمام ممثل في حجم موهبته نجده يعيش مباراة قوية في التمثيل تخدم العمل، وتجعله في صورة مميزة، لذا لفت مخيون منذ البداية المخرجين أصحاب وجهة النظر العميقة، مثل يوسف شاهين، علي بدرخان، علي عبد الخالق، سمير سيف، المغربي مؤمن السميحي، الأردني عباس أرناؤوط، عاطف الطيب، شريف عرفة، حاتم علي، عصام الشماع، كريم ضياء الدين، وغيرهم ممن تمكنوا من توظيفه بشكل صحيح، كذلك لعب النص دورًا مهمًا في نوعية الشخصيات التي قدمها، وهو ما يعكس أهمية كتّاب مثل وحيد حامد أو أسامة أنور عكاشة تحديدًا، فأي منهما كان يرشحه في القيام بشخصياته الدرامية التي يمكن وصفها بالصعبة، إذ إنه يدرك أبعاد ما يكتبه، وبذكاء المؤلف الفاهم، يعرف كل منهما مدى قدرة كل من الممثلين على القيام بتلك الأدوار، التي كان مخيون يضمن نصيبًا منها.

قدم مخيون للسينما مع بداية الألفية الثالثة عددًا كبيرًا ومتنوع من الأدوار، يؤكد ثراء موهبته، فقدم «الشيخ نجيب أبو ريا» في «النمس»، و«طاهر» في «رحلة مشبوهة»، و«عباس» في «حفار البحر»، و«زوج نادية صفوان» في «دم الغزال»، و«دكتور مؤنس» في «دكان شحاتة»، و«رفعت رضوان» في «الطريق الدائري»، و«جلال محمود» في «الثمن»، كما قدم مع المخرج شريف عرفة ثلاث شخصيات من خلال الجزء الأول من «الكنز: الحقيقة

والخيال»، حيث قدم شخصيات «الحكيم أبي، الشيخ على الله، والسجين»، ثم قدم معه أيضًا في الجزء الثاني «الكنز: الحب والمصير» شخصية «أبي»، لتكون أحدث مشاركاته السينمائية، التي لم تعرض حتى كتابة هذه السطور، من تأليف الراحل وحيد حامد، وإخراج محمد سامي، من خلال شخصية «اللواء العصار»، التي جسدها في فيلم «سري للغاية».

بدأ عبد العزيز مخيون الحقبة الثانية من القرن الحالي، بثلاثة من أهم الأعمال التليفزيونية التي قدمها عبر مشواره الفني، ففي العام ٢٠١٠ قدم شخصية «إسماعيل» ابن عم «همام»، الذي جسده يحيى الفخراني، في مسلسل «شيخ العرب همام»، الذي كتبه عبد الرحيم كمال، وأخرجه حسني صالح، ليكون مخيون ندًا قويًا في الأداء المتفرد، وقدم شخصية حازمة وقوية، نظراته قاسية، متقلب التصرفات، كما تشهد الشخصية تحولًا كبيرًا عندما يقرر خيانة همام لصالح المماليك، فتقف أمام أدائه عاجزًا، هل تحبه لما يضحي به من أجل شيخ العرب، أم تكرهه لخيانته، هل مشاعره تجاه ابنته حقيقية، أم أنه يخفيها خلف قسوة وجمود مصطنعين، لإنسان لا يعرف الحب، حتى إنه أبدع مشهدًا بمثل هذه المشاعر، لو أنه لم يقدم غيره في المسلسل لكفاه، عندما يجلس يتخيل أن ابنته فرطت في شرفها، وينتظر خروج «القابلة» لتخبره بضياع شرفه، ثم يفيق من شروده، ليجد عكس ما ظن، لنتأمل خلال لحظات الشرود نبضات عروق رقبته، والتوتر المستتر خلف ملامح القسوة، والضعف وراء ملامح ادعاء القوة.

في العام نفسه قدم مخيون شخصية «برهان» في المسلسل التاريخي الضخم «سقوط الخلافة»، للكاتب يسري الجندي، ومن إخراج محمد عزيزية، وبعده قدم شخصية «بهجت عبد الحميد السواح» في الجزء الأول من مسلسل «الجماعة»، للكاتب وحيد حامد، ومن إخراج محمد ياسين، ثم يقدم شخصية «أحمد لطفي السيد» مع إنعام محمد علي في مسلسل «مشرفة: رجل لهذا الزمان»، وشخصية «الكبير» في مسلسل «خطوط حمراء»، وفي مسلسل «الهروب» يقدم والد «محمود»، الذي جسده كريم عبد العزيز، من خلال شخصية «عبد الناصر»، العامل المعارض المدافع عن حقوق العمال في مصانع الغزل والنسيج، ليقدم الدور ببراعة شديدة، وكأنه بالفعل صوت العمال ومحركهم لنيل حقوقهم المسلوبة، ليعود مجددًا للكاتب وحيد حامد من خلال مسلسل «بدون ذكر أسماء»، إخراج تامر محسن، بتجسيده شخصية «ربيع الحلواني»، التي أجاد تحويلها من كلمات مكتوبة إلى شخصية تتحرك وتعيش وتشعر، لها أسلوبها الخاص في الحياة، ليظهر هذا الأب الكادح البسيط، الذي يحنو على أسرته في صورة تؤكد مثاليته، يمزج بين الشدة والحب، قابض على العادات والتقاليد التي تحمي كيان الأسرة، ثم يقدم شخصية «فخري» في «يونس ولد فضة»، ليتطرق لنوعية جديدة من

الشخصيات لم يسبق له أن قدمها، من خلال شخصية المشعوذ «الشيخ شمس» في جزأي «الكبريت الأحمر» مع الكاتب والمخرج عصام الشماع، التي قدمها بإتقان، كأنما عاش جل عمره مشعوذًا، ولولا نجوميته الكبيرة، ما كان الجمهور ليستطيع أن يجزم أن الفنان الذي قدم شخصية «شمس المشعوذ»، هو نفسه الذي قدم شخصية «حسن الهضيبي» في الجزء الثاني من مسلسل «الجماعة»، الذي قدم في جزئه الأول شخصية مختلفة بعيدة كل البعد عن شخصية «الهضيبي»، ليستعيد المختلف قبل المتفق مع أحداث المسلسل، تلك الشخصية البارزة في تاريخ جماعة الإخوان، بكل تفاصيلها.

من بين عشرات الأدوار التي قدمها عبد العزيز مخيون في السينما المصرية والعربية، اختير ثلاثة أفلام شارك فيها، ضمن قائمة أفضل مئة فيلم مصري في تاريخ السينما المصرية، «إسكندرية ليه، حدوتة مصرية، والهروب»، كما استحق المزيد من الجوائز بخلاف الثماني جوائز، التي حصل عليها عبر مشواره الفني الممتد، الذي أمتع خلاله جمهوره بظهور فريد وملامح صادقة، السينما والدراما التليفزيونية، فضلًا على كونه صاحب «التجارب» المسرحية ممثلًا ومخرجًا، ليكون تاريخه الفني بمثابة «سر الصنعة»، ومادة ثرية للدراية والتعلم لكل الأجيال الحالية واللاحقة، من ممثلين ومخرجين ومهتمين بالدراما وسحرها.

أسماء في رحلة التكوين

حرص عبد العزيز مخيون، منذ أن خرج من قريته في مدينة أبو حمص، على أن يستفيد من كل شخصية مبدعة، يمكن أن تقوده الأقدار إلى طريقها، ولم يجعل من علاقته بأي شخصية علاقة عابرة، تنتهي بنهاية اللقاء، فمنذ التحاقه بالمعهد حرص بشكل كبير ودؤوب على الاستفادة بشكل كبير من كل أساتذة في المعهد، وتحديدًا نبيل الألفي أستاذ التمثيل، الذي تتلمذ على يديه، هو وأساتذته دريني خشبة، محمد مندور، سعد أردش، وأحمد البدوي وغيرهم ممن تتلمذ على أيديهم بشكل مباشر، وهناك من تعلم وتتلمذ أيضًا على أيديهم بشكل غير مباشر، مثل الدكتور لويس عوض، الذي أدرك مبكرًا حجم وقيمة موهبة عبد العزيز مخيون، ونصحه خلال وجودهما معًا لفترات طويلة في باريس، بأن يبحث عن ذاته كممثل ويحققها، لأن موهبته تستحق الكثير جدًا، ولا بد أن يصقلها بكثرة العمل، والتواجد على الساحة الفنية بشكل أكبر.

أيضًا من بين الأساتذة غير المباشرين له، كان الدكتور حسين فوزي، الذي حرص مخيون على أن ينمي ذوقه الموسيقي على مقالاته وكتبه وتحليله الموسيقى، ولم تنقطع علاقته به، حتى لو لم تكن علاقة مباشرة، بل ظلت العلاقة ممتدة من خلال كل ما يكتبه الدكتور حسين أو يقوله من خلال برنامجه الإذاعي، مثلما تأثر كثيرًا بكتابات يوسف إدريس والدكتور علي الراعي، وأصر على تنفيذ رؤيتهما النظرية في البحث عن مسرح مصري، وقام بتنفيذها بشكل عملي إبداعي من خلال تجربته في مسرح الفلاحين، وهي التجربة التي خرج منها بالكثير من المفاهيم والأفكار حول المسرح المصري ودوره.

أحب عبد العزيز مخيون الطبيعة وعشق سماع الموسيقى الكلاسيك، خاصة تشايكوفسكى وبيتهوفن، كما أحب رحلات «السفاري» في الصحراء، بمفرده غالبًا، ومع أصدقائه أحيانًا، عشق صيد الطيور، وزار سيناء والواحات الداخلة والفرافرة وسيوة، عشق الحياة البسيطة والبدائية، التي كان يلجأ إليها دائمًا للابتعاد عن ضغوط الحياة ويغتسل من همومه، يجدد أحلامه وتفكيره، وربما هو ما جعله يفكر في بناء بيت في اليوم، بعيدًا عن زحام القاهرة، وقريبًا من الأجواء الطبيعية التي يعشقها، الأمر الذي جعله يقترب ويصادق سيد البنائيين المعماري صاحب «عمارة الفقراء» حسن فتحي، وتأثر به كثيرًا، خاصة في فكرة صداقته للبيئة، فمثلما كان يبحث حسن فتحي عن عمارة أصيلة نابعة من البيئة وتعبر عنها، كان مخيون أيضًا يبحث عن صيغة مسرحية نابعة من التاريخ والعلاقات الاجتماعية السائدة، في تجربته «مسرح الفلاحين»، وهو ما جعله يقترب من عقل وفكر حسن فتحي، وأجرى معه حديثًا مطولًا، قام

بنشره في جريدة «النهار العربي»، خلال فترة تواجده في باريس، وعندما أراد أن يبني بيتًا في الفيوم، توجه إلى سيد البنائيين، وسأله بشكل مباشر عن كيفية بناء بيت من البيئة فقال له:

= ابني بيتك من خامات بيئتك.. من حيث تضع قدمك التقط المادة التي ستبني بها.

لم تكن مشاعر الإنسان تختلف عن مشاعر الفنان لدى عبد العزيز مخيون، فهو يتعامل بوجه واحد بعيدًا عن أدواره التي يجسدها، فلم تكن مشاركته، وهو لايزال طالبًا في معهد الفنون المسرحية، في مسرحية «وابور الطحين»، تأليف نعمان عاشور، وإخراج المبدع نجيب سرور، مجرد رغبة طالب في التدريب فقط، بل وجد في نجيب سرور مبدعًا لديه الكثير ليقوله، فاقترب منه كثيرًا ولازمه في أغلب أعماله، على الرغم من أنه لم يكن مشاركًا فيها، لكن مجرد اقترابه من هذا الفنان أضاف إليه الكثير، حتى تصادف وجود نجيب في مسرح الطليعة، الذي يعمل فيه مخيون موظفًا، والذي لاحظ أن حالة نجيب غير طبيعية، وجد أمامه إنسانًا محطمًا على وشك الانهيار، فيما يحاول الكاتب بهاء طاهر أن يعرف ما به، دون جدوى، فاقترب مخيون منه بحذر، وهو يخشى أن يفرض نفسه عليه في هذه الحالة، غير أنه وجد بهاء طاهر يقول له:

= نجيب تعبان أوي يا عبد العزيز.

* ماله خير في إيه؟

= حالته مش كويسة.. وممكن ينهار في أي لحظة.

* طيب أنا ممكن أخده معايا البيت.

= خده.. وماتسيبهوش لأني خايف عليه جدًا.

* لا مش هاسيبه اطمن.

أخذ عبد العزيز مخيون نجيب سرور معه إلى شقته في شارع شامبليون، التي كان يعيش فيها بمفرده خلال هذه الفترة قبل الزواج، وبدأ في علاجه ومراعاته، وما إن استرد عافيته حتى أرسل في طلب زوجته الروسية ألكسندرا كورساكوفا، وابنهما «فريد» الذي كان يبلغ من العمر وقتها ما يقرب من عشر سنوات، وعاشا معه في شقة مخيون، بل وجه لهم الدعوة لزيارة قريته في «أبو حمص»، ولم يتركه إلا بعد أن اطمأن أنه تجاوز محنته، وقام باستئجار شقة في منطقة الجيزة.. انتقل للعيش بها هو وزوجته وطفلهما «فريد»، حيث كان أبنهما الأول «شهدي» في الاتحاد السوفيتي آنذاك.

لم يكن نجيب سرور هو الشاعر الوحيد الذي اقترب منه عبد العزيز مخيون، بل إنه عشق أشعار أمل دنقل، قبل أن يراه أو يتعرف عليه، عشق أشعاره وراح يلقيها بحماس شديد في

المراكز الثقافية، كما قرأ بعض منتخبات أشعاره في الإذاعة، وجمعتهما صداقة قوية بعد أن جاء لقاؤهما صدفة، وقدم عبد العزيز مخيون نفسه لأمل دنقل، وأصبحا صديقين لا يفترقان إلا عند النوم، بل إن مرات كثيرة كان يهرب فيها أمل إلى شقة مخيون بشارع شامبليون، طلبًا للهدوء والقراءة، ويظل يقرأ حتى ترتخي يداه بالنوم ويسقط الكتاب، فيأتي عبد العزيز ليطفئ «الأباجورة».

على الرغم من حداثة صداقتهما آنذاك، إلا أن أمل استطاع أن يعرف مبكرًا المشكلة التي يُعاني منها مخيون، وعدم قدرته على إدارة الفنان بداخله، وتوجيهه بالشكل الذي يتماشى مع الحياة الفنية وشروطها التي قد تبدو قاسية، لكن لا مفر من التعامل معها وإدراك أصول «اللعبة»، بعكس ما يفعل مخيون الذي يتحرك نفسه للظروف والأقدار تحركه، فلم يجد أمل دنقل وصفًا دقيقًا لحالته سوى أن قال له:

= «أنت ريشة في مهب الريح!».

إلى جانب حبه للفن والرحلات، عشق عبد العزيز الصحافة، وكان في مستهل حياته المهنية، يحرص على أن يقضي أغلب أوقات فراغه في حديقة «نقابة الصحفيين»، فاقترب كثيرًا من الكاتب الكبير كامل زهيري نقيب النقباء، والكاتب الصحفي محمود المراغي، وغيرهما من الصحفيين والأدباء والشعراء، والمثقفين بشكل عام، ويكتب مقالات يحاول أن يسير فيها على نهج الكاتب صلاح حافظ، وينشرها في مجلة «روزاليوسف»، التي التقي فيها الفنان التشكيلي والرسام «مأمون»، الذي شاهد له عددًا من المسرحيات والأفلام، غير أنه لاحظ عدم تواجده بشكل دائم على الساحة الفنية، رغم موهبته الكبيرة، وبحكم علاقة الصداقة التي نشأت بينهما لكثرة تردد مخيون على المجلة، فلم يتردد من أن يصارحه برأيه:

= في حاجة عايز أقولهالك يا عبد العزيز.. بس أرجوك أقبلها مني.

* قول يا مأمون.. إحنا أصحاب.

= اللي أنت بتعمله في نفسك ده غلط كبير.

* اللي هو إيه؟

= أنت فنان موهوب جدًا.. وأدوارك اللي قدمتها بتقول إننا قدام فنان مش عادي.

* أشكرك دي شهادة أعتز بيها.

= كويس أوي.. بس مش كفاية.. أنت شغلك قليل جدًا بالقياس لموهبتك.

* أيوه عايزني أعمل إيه؟

= تشتغل.. بلاش حالة الرفض الدائم دي اللى عندك.

* المسألة مش مجرد رفض وخلاص.. لكن أنا يهمني أقدم أعمال تتوافق مع رؤيتي وقناعاتي.

= ما هو أنت لو استنيت الأعمال اللي تتوافق مع رؤيتك وقناعاتك.. هاتعمل عمل كل عشر سنين.

* مش ذنبي.

= لا ذنبك.. لازم تشتغل.. وبشكل دائم.. أنا باعتباري نحات لا بد أن أمارس العمل يوميًا، حتى تطاوعني أيدي علشان أطلع اللي أنا عايزه، اعتذاراتك هاتخلي ممارساتك وخبرتك قليلة.. لازم تشتغل كتير على أد حجم موهبتك.

لم يكن ذلك هو رأي الفنان صلاح مأمون فقط، بل قاله له أيضًا الكاتب الصحفي والناقد عصام بصيلة، عندما شارك في مسلسل «البحث عن زوج»، من تأليف عصام بصيلة، معالجة درامية عاطف بشاي، ومن إخراج إبراهيم الشقنقيري، وهو الكلام نفسه الذي أكد عليه أستاذه الكاتب لطفي الخولي، عندما التقاه في باريس:

= أنا طبعًا شهادتي فيك مجروحة.. لكن أنا واثق من موهبتك الكبيرة.

* أشكرك يا فندم على رأيك ده.

= أنا مش بقولك كده علشان تشكرني.. لكن اعتذاراتك كثيرة جدًا.. لازم تبطل المثالية الزايدة عن الحد دي.

* هي مش مثالية.. أد ما هي أفكار وقناعات.

= يا سيدي ماحدش قالك أترك قناعاتك.. لكن أنت مش هاتصلح الكون.

* أيوه بس حضرتك أستاذي وعارف دور الفن والفنان.

= ماقلناش حاجة.. لكن ده مش هايحصل في يوم وليلة.. المثالية دي مش هاتتحقق بكرة.. ولو فضلت على كده.. حجم تجربتك هايبقى قليل.

* يعني أعمل إيه؟

= تدخل التجربة وتطورها من جوه.. لكن طول ما أنت براها مش هاتعمل حاجة.

رغم تأثر عبد العزيز مخيون بهذه الكلمات وغيرها، ورغبته الحقيقية في قبول كل ما يُعرض عليه، إلا أنه لم يكن يجيد تلك «الهالة» التي يجيد أغلب النجوم صناعتها حول أنفسهم،

ويعرفون كيف يقدمون أنفسهم بشكل مميز، حتى لو لم يكن بما يتناسب مع موهبتهم، وهو ما أكده له الكاتب عبد الحي أديب، الذي أحبه وآمن بموهبته:

= ماتضيعش موهبتك بتمسكك بأفكار مش موجودة على أرض الواقع.. بص شوف الفرق بين محمد عبد الوهاب وفريد الأطرش.

= أنت مش بتمثل عبد الوهاب.

* أيوه طبعًا.

= طب ما تدرسه.

* ما أنا بدرسه كويس وكمان رحت قابلته.

= أنا مش قصدي في الشكل.. أنا عايزك تعمل زيه.

* مش فاهم أعمل إيه؟

= عبد الوهاب مش بس بيشتغل كتير.. لكن عارف إزاي يقدم نفسه، وده الأهم عارف إزاي يعمل «هالة» حواليه.. وعارف بيجمع مين حواليه وإزاي ناجح في عمل علاقات مهمة جدًا.. من كتاب ومفكرين وشعراء وصحفيين.. وقادر يدرس أموره بشكل كويس.. وكمان قادر يحرك الناس اللي حواليه علشان يتكلموا عنه بالشكل اللي يليق بيه.. بعكس فريد الأطرش.. عنده موهبة كبيرة.. يمكن أكتر من عبد الوهاب.. لكنه لم يحسن استخدام موهبته.. ولم يحسن إدارة نفسه.. لازم تتعلم من تجارب الآخرين.

بيدي .. وبأيدي آخرين!

إمبراطورية ميم

بعد عرض سهرة «أغنية الموت» في التليفزيون، علم مخيون أن فاتن حمامة تقوم بتصوير فيلم جديد، فقرر أن يقوم بزيارتها وتهنئتها على الفيلم، فذهب بالفعل أثناء عمل «الدوبلاج» في استوديو «نحاس»، حيث تقوم عمل دوبلاج مع بطل الفيلم أحمد مظهر، وما إن شاهدته وقبل أن تصافحه:

= أهلًا يا عبد العزيز أزيك.. أنت فين؟

* موجود يا فندم وقلت آجي أسلم على حضرتك وأباركلك على الفيلم الجديد.

= سيبك من ده دلوقت.. قوللي هو حسين ما بعتلكش؟

* حضرتك تقصدي الأستاذ حسين كمال؟

= أيوه.. أنا رشحتك تشتغل معايا في الفيلم ده.. وكلمت حسين عنك كتير.. وعن الإحساس اللي أنا شوفته وأنت عامل شخصية «علوان» كان لازم تشتغل تاني معايا.

* طبعًا ده شرف كبير ليا إن حضرتك ترشحيني لدور.. لكن للأسف الأستاذ حسين مكلمنيش.

= خسارة أنت موهوب جدًا يا عبد العزيز.. ولازم نشتغل تاني مع بعض.

* إن شاء الله يا فندم ده يشرفني.

ربما لم يكن خطأ المخرج حسين كمال وحده، بل المسؤول الأول قبله، هو عبد العزيز مخيون نفسه، الذي يمكن أن يختفي فجأة عن الأنظار كلها، تبحث عنه فلا تجده، بل ولا يقول لمن حوله أين سيختفي، إذ يخطر بباله فجأة أن يذهب إلى الفيوم، حيث الهدوء والراحة، حيث ينفرد بنفسه في لحظات تأمل خاصة، فضلًا على رحلات الصيد التي يجد فيه متنفسًا لإخراج طاقة كبيرة بداخله.

لقطة في «الكرنك»

عندما استعان به صديقه المخرج علي بدرخان، للمشاركة في فيلم «الكرنك»، حرص مخيون على أن يبلغ كاتب سيناريو الفيلم ومنتجه ممدوح الليثي، بموعد سفره إلى دبي لتصوير

مسلسل «ليالي الحصاد»، فما كان من الليثي إلا أن أخبره بأن تصوير الفيلم سينتهي في نهاية شهر إبريل، أي قبل السفر إلى دبي بما يقرب من شهرين، ليبدأ التصوير بالفعل، ويكون المشهد الأول الذي يصوره مخيون، عبارة عن لقطة واحدة من مشهد خلال وجوده بالمعتقل، مع رئيس جهاز المخابرات الذي جسده الفنان كمال الشناوي، ثم توقف التصوير بعدها، وعندما تم استئنافه بدأ علي بدرخان بمشاهد لنور الشريف وسعاد حسني، وبعض مشاهد الحارة، ليجد مخيون إدارة الإنتاج تطلب منه الحضور لاستئناف تصوير مشاهده قبل السفر إلى دبي بيوم واحد، فما كان منه إلا أن اعتذر لصديقه المخرج علي بدرخان، وهو حزين جدًا، موضحًا له أهمية التزامه بالسفر إلى دبي، لتصوير المسلسل الذي تعاقد بالفعل عليه، فقبل بدرخان اعتذاره، واضطر للاحتفاظ باللقطة الوحيدة التي صورها مخيون في المعتقل، فبدأ بعد عرض الفيلم، وكأنه تم الاستعانة به لتقديم هذه اللقطة فقط، فيما تم دمج دوره في شخصية أخرى قدمها الفنان نور الشريف في الفيلم، لتضيع واحدة من أهم الشخصيات، التي كان يمكن أن يظهر بها مخيون في بداياته الفنية، بسبب عدم التزام جهة الإنتاج بمواعيد التصوير.

حاملات القرابين

كانت وزارة الثقافة المصرية تستعين ببعض كبار المخرجين لإخراج مسرحيات بلادهم، فأحضروا المخرج الروسي «نزلي بلاتو» لإخراج مسرحية «الخال فانيا» للمسرح القومي، كما أحضروا المخرج اليوناني تاكيس موزنيدس لإخراج «حاملات القرابين»، التي كتبها يوربيدس، بممثلين مصريين، ومعه المساعدة والمترجمة عطيات عوض، «عطيات الأبنودي»، وهي صديقة لعبد العزيز مخيون، فطلب منها أن تستأذن موزنيدس، الذي أتاح له الفرصة، فقام مخيون بأداء أحد المشاهد من مسرحية «هاملت»، فلفت انتباه موزنيدس وأعجب به جدًا، وأكد له أنه سيستعين به في في إحدى شخصيات المسرحية التي يستعد لإخراجها، غير أن مخيون خرج من المسرح القومي، ولم يشغل باله بالأمر، وكعادته اختفى فجأة، حتى التقى بعدها بفترة ليست قصيرة، بالكاتب الدكتور لويس عوض، في مسرح الطليعة، فبادر عبد العزيز ليصافحه ويقدم له نفسه:

= أنت بقى مخيون؟

* أيوه.. خير في حاجة يا دكتور؟

= دا موزنيدس كان بيسأل عليك.

* المخرج اليوناني بيسأل عليّ أنا؟

= أيوه أمال عليّ أنا.. ده كان عايزك تعمل دور «أوريست» في «حاملة القرابين».

* أيوه أيوه هو شافني فعلًا.

= شافك وبعدين اختفيت.

* حضرتك عندك حق.. للأسف مفيش نصيب.

= شوف يا ابني.. أنت لسه في البداية.. ولازم تهتم شوية بنفسك كممثل وإزاي تقدم نفسك للمخرجين والمنتجين.. حياة البوهيمية دي عمرها ما تعمل اسم للفنان.. لازم تحفر اسمك بنفسك.. محدش هايعملك ده.

أقدار الحرب.. وفرصة عالمية

بعد العمل مع المخرج الكبير يوسف شاهين في فيلمين كبيرين، «إسكندرية ليه، وحدوتة مصرية»، اعتاد عبد العزيز مخيون، بحكم الجيرة، أن يذهب من آنٍ لآخر إلى مكتب شاهين، الذي يقع في الشارع نفسه الذي يسكن فيه، في أوقات فراغه، للالتقاء ببعض الأصدقاء ممن يعملون في المكتب، ليصادف في أحد أيام شتاء العام ١٩٨٦، وجود فريق عمل لمسلسل إنجليزي بعنوان «أقدار الحرب»، بطولة كينيث برانا، إيما طومسون، رونالد بيك أب، وروبرت ستيفنز، تأليف أوليفيا ماينج، ومن إخراج جيمس سيلان جونز، وشركة الإنتاج تعاونت مع مكتب يوسف شاهين لاختيار ممثل من مصر، ليجسد في المسلسل دور محامٍ سوري.

عرف مخيون بأن هناك ما يقرب من خمسين ممثلًا، سيعرضون على مسؤولة «الكاستينج» الإنجليزية، فتقدم ليكون من بينهم، وتم تصويره بالفعل وهو يتحدث الإنجليزية من خلال أحد المشاهد، ليقع اختيار المخرج عليه، ليقدم عددًا من المشاهد أمام بطلة المسلسل «إيما طومسون» باعتباره محاميًا سوريًا، يرافقها في بعض الأماكن في سوريا، من بينها «الجامع الأموي»، و«سوق الحامدية»، ويقوم بترجمة إحدى الأغنيات العربية لها، كما يتحدث معها في جلسات مطولة حول القضية التي تدور حولها الأحداث.

حرص مخرج العمل على أن يقيم لقاء تعارف وغداء للممثل المصري مع فريق العمل الإنجليزي، فدعا عبد العزيز لهذا اللقاء، وكان في إحدى مدارس مصر الجديدة، التي يتم فيها تصوير عدد من المشاهد، ليستقبل المخرج مخيون وكأنه نجم عالمي، وراح يخفف من حدة توتر

اللقاء على لقاء الغداء، ويمتدح «بدلة» مخيون ويضحك معه، ويقدمه لبقية فريق العمل باعتباره أحد النجوم العرب، بعدها بدأ عبد العزيز ينتظم في حضور بروفات المسلسل أمام إيما طومسون في فندق «الماريوت»، ليجد نفسه في عالم آخر من العمل الفني، في التحضير والمواعيد، والاهتمام بكل التفاصيل مهما كانت صغيرة، وتم بعدها تحديد موعد أول يوم تصوير يوم ٢٧ يناير من العام ١٩٨٧، في قلعة صلاح الدين بالقاهرة.

ما إن قام عبد العزيز بتوقيع التعاقد مع الشركة الإنجليزية، وحددوا له موعد أول يوم تصوير، حتى فوجئ بالمخرج علي عبد الخالق، يطلبه للمشاركة في بطولة فيلم «بئر الخيانة»، حيث إن كل مشاهد مخيون سيتم تصويرها في أوروبا، على اعتبار أن الشخصية لضابط في الموساد الإسرائيلي، وللأمانة المهنية، وقبل أن يوقع مخيون التعاقد مع المخرج سعد شنب، أبلغه بتعاقده على المسلسل الإنجليزي، وظروف عمله فيه:

* يا أستاذ سعد.. أنا عندي تصوير هنا في القلعة يوم ٢٧ يناير اللي جاي.

= لا لا.. وإحنا إيه اللي يقعدنا في أوروبا لحد يناير.. إحنا مش حمل المصاريف دي كلها.

* أيوه علشان بس ارتباطي مع الإنجليز؟

= يا عم مش هانقعد كل ده.. إحنا عندنا شوية مشاهد لك أنت ونور الشريف في روما، وبعدين هايكون آخر مشهد لك في ليلة رأس السنة في لندن.. المشهد اللي أنت بتدي فيه نور الشريف تلقين في ميدان ترافلجار سكوير.

* ده كل التصوير في أوروبا.

= آه طبعًا.. يعني إن شاء الله هانكون هنا واحد أو اتنين يناير بالكتير.

اطمأن مخيون على موعد عودته إلى القاهرة قبل موعد بداية تصوير المسلسل الإنجليزي بوقت كافٍ.. غير أن سفر فريق عمل فيلم «بئر الخيانة» لم يتحدد بعد، وبدأ التأجيل أسبوعًا بعد آخر، بسبب موجة الصقيع التي تجتاح أوروبا خلال شتاء ١٩٨٦، حتى تقرر السفر أخيرًا قبيل نهاية العام، حيث بدأوا بالسفر إلى إيطاليا أولًا، وتوفيرًا للنفقات نزل فريق العمل في الأكاديمية المصرية في روما، بمعاونة رئيس الأكاديمية الفنان فاروق حسني، وبعدها قام المنتج بالحجز لهم على شركة طيران «إثيوبية»، التي قامت بعمل «ترانزيت» في فرانكفورت، ثم اتجهت إلى لندن، وفي لندن اكتشفوا أنه لم يحصل على تصاريح للتصوير في الشوارع والميادين، فطالما

ستوضع كاميرا على حامل مع أجهزة إضاءة ومعدات تصوير، فلا بد من استخراج تصاريح، لكن إذا كانت الكاميرا محمولة على الكتف أو في اليد، فهم ليسوا في حاجة إلى تصاريح، وهو ما استغله المنتج سعد شنب، وطلب من مدير التصوير سعيد شيمي، أن يقوم بتصوير المشاهد المطلوبة، وهو يحمل الكاميرا على كتفه!

ما بين مشاكل التصوير، ومشاكل الصقيع، وعدم مواءمة الظروف، وجد مخيون نفسه يقترب من يوم ٢٥ يناير، ولم يتم تصوير العديد من مشاهده المتبقية له في لندن، فقرر الاستئذان من فريق العمل والعودة إلى القاهرة، التزامًا بالتعاقد مع الشركة الإنجليزية، ما أحدث غضبًا شديدًا من المنتج، الذي طلب من عزت العلايلي، أحد أبطال الفيلم، التدخل وإقناع مخيون بالبقاء للانتهاء من التصوير:

= ما ينفعش يا عبد العزيز تسيبنا وتمشي في نص الفيلم.

* دي مش غلطتي يا أستاذ عزت.. أنا متفق معاه على كده من مصر.

= متفق معاه تسيبه في نص الفيلم؟

* لا أنا ساذج ولا هو ساذج علشان يكون في بينا اتفاق زي ده.. أنا متفق على مواعيد التصوير.. وقاللي هانكون في مصر يوم واحد أو اتنين يناير بالكتير.. والنهارده ٢٥ يناير.

= وإيه يعني.. بتحصل كتير.. وياما أتأجلت مواعيد تصوير لظروف خارجة عن إرادتنا.

* يا أستاذ أنا بحترم نفسي ومواعيدي.. وأنا مرتبط مع شركة إنجليزية هاعمل معاهم مسلسل وأول يوم تصوير بعد بكرة يوم ٢٧ في القلعة.

= عادي.. ما هو ده شغل وده شغل.. هو إحنا هنا بنتفسح.

* أنا معاك ده شغل وده شغل.. لكن دي فرصة مش هاتتعوض.. ده مسلسل إنجليزي.. ودوري فيه كبير.. وممكن بعدها.....

= يا سيدي وإيه يعني.. ما كلنا اشتغلنا في أعمال أجنبية وأنا نفسي اشتغلت في فيلم إنجليزي قبل كده.

* أنا شايف إن دي فرصة بالنسبة لي.

= الكلام ده لو مكناش اشتغلنا.. أنت بدأت معانا التصوير.. وفاضل في شغلك كام مشهد.. يبقى لازم تستنى لحد ما نخلص كل المشاهد.. مش عايزين مشاكل.

وجد مخيون نفسه محاصرًا بآراء عزت العلايلي وسعد شنب، بالإضافة إلى رجل المخابرات الذي يرافقهم في الرحلة للإشراف على تفاصيل الفيلم، باعتباره عملًا مأخوذًا من ملفات المخابرات العامة المصرية، الذي اقترح أن يجري اتصالًا بهيئة «بي بي سي»، التي قامت بدورها بالاتصال بشركة الإنتاج، والذين أكدوا على أهمية حضور مخيون، وعرضوا إرسال تذكرة له إلى لندن لإعادته إلى القاهرة في يوم ٢٧ يناير، وهو ما حدث بالفعل، ورغم ذلك رفض المنتج وفريق العمل أن يسافر مخيون، ووعده سعد شنب بكتابة تعهد بأنه سيتحمل أي مسؤولية عن أي ضرر قد تقع عليه بسبب تأخره، غير أن الشركة الإنجليزية لم تنتظر مخيون، وقرروا الاستعانة بالممثل أحمد محرز للقيام بالدور بدلًا منه!

«العائلة».. وسوء التقدير

بعد أن قدم معه مسلسلي «سفر الأحلام» و«البشاير»، عرض الكاتب وحيد حامد على عبد العزيز مخيون العمل في مسلسل «العائلة»، من إخراج إسماعيل عبد الحافظ، حيث تدور أحداثه وقت حرب الاستنزاف وما تلاها، من خلال سكان إحدى العمارات، وعلاقتهم ببعضهم البعض، والأسرة التي تفقد أحد أبنائها في الحرب وتأثير ذلك عليها، كما يتناول قضية الإرهاب والفقر الذي يؤدي بالفقراء إلى الانجراف وراء التيارات المتطرفة.

عندما عرف عبد العزيز مخيون بطبيعة دوره في المسلسل، شعر بأنه لن يقدم جديدًا بالنسبة له، وأنه سبق وقدم دورًا مشابهًا له في مسلسل «سفر الأحلام»، فاعتذر للكاتب وحيد حامد عن عدم المشاركة في المسلسل، على الرغم من أنه عرض عليه أجرًا كبيرًا لم يتعاقد عليه مخيون من قبل، لكن رفض.. لكن ما إن عرض المسلسل وشاهد مخيون الدور الذي كان سيجسده في المسلسل، حتى شعر بأنه أخطأ برفض الدور، وندم ندمًا شديدًا بضياع هذه الفرصة التي ضاعت بيده وليس بأيدي الآخرين، ليكتشف مؤخرًا بأن رهانه على الثقافة والموهبة وحدهما، رهان خاسر، وأنه على الممثل المحترف أن يعمل وفقًا لرهانات ومقاييس أخرى، منها التسويق والاستعانة بمساعد محترف أو مدير أعمال لمعرفة أي الأدوار يرفضها وأيها يجب أن يقبلها.

كلمة أخيرة

يظل عبد العزيز مخيون يمتعنا بأدواره وأدائه المتميز، ممثل لا يمتلك سوى قدراته، متمكن من أدواته الفنية، صوت لا تضعفه «بحة»، لا يقف في وجهه عائق، إحساس فني متدفق يستمسك بعروة المشاعر، ما إن تضاء الأنوار حتى يصبح جزءًا منها، بل سرعان ما يتحول ليصبح شعلة من الأداء، فوق خشبة المسرح، يضفي حضورًا قويًا على كل من حوله، بإمكانيات هائلة في التعبير، تخرج الكلمات عربية واضحة لا تخطئ الهدف كطلقات رصاص، وعندما تدور الكاميرا، لا تجد عبد العزيز مخيون، بل الشخصية التي يقدمها، ليس فقط الملابس التي ترتديها أو ماكياجها الخارجي، بل يتلون بلونها يتحدث بلسانها، يفرح من قلبه لفرحها، يحزن بصدق لحزنها، قادر على استدعاء الشر، رغم أنه ليس بداخله، لا يعرف التصنع ولا التكلف، يصل إلى أدواره من أبسط الطرق وأقصرها.. عبر الصدق الفني والمشاعر المتدفقة الصادقة.

وزارة الثقافة
صندوق التنمية الثقافية
صرتة